منازل

ثقافية أدبية مستقلة نصف شهرية

العدد / 1 / 1 حزيران 2013 www.facebook.com/manazel السعر (50) ليرة سورية

في هذا العدد

- هامش على طبائع الاستبداد.....4
- مرثية للدكتاتور.....10
- اليقين والشك في الثورة السورية.....14

2 لاجئو الرقة.. كيف يعيشون؟

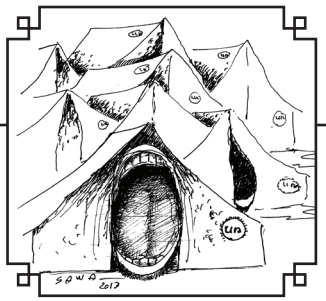

لم تكتمل فرحةُ تحرير مدينة الرقة، فما لبث أهلُها ينعمون بحريتهم، حتى بدأت الغارات الجوية للطائرات الحربية والعمودية بإلقاء قنابلها وبراميلها وصواريخها وقذائفها على السكان الآمنين، فتدمرت البيوت على ساكنيها، وتملّك الناسَ الخوفُ والفزع، وانتفضوا مذعورين، يبحثون عن ملاذ آمن لأسرهم وعيالهم.....

5 سوريا، هل يقف المرء أمام المرآة ويبدأ القصف؟

نشأت على حكايا الوالد عن جمال سوريا وكرم أهلها ساكني الغوطة الذين كانوا يستقبلون ضباط القوات البحرية المرافقين للزعيم جمال عبد الناصر بالدبكة والغناء. كنت أستمع وأرسم لنفسي صورة تتسع وتتسع كلما كبرت والتقيت أصدقاء من دمشق وجبلة وحلب.....

9 إلـــــى أبـــــي.....

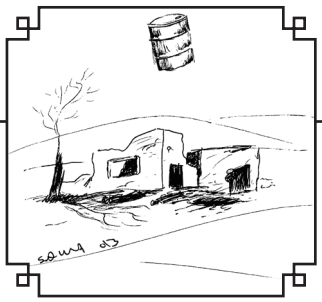

عاش أبي مثالاً لذاك السوري الذي يحرق عمره، ليجعل من حياته شمعةً تنير درب أبنائه. عظيماً كالفرات يفيض حبّاً وحناناً، في يدي أبي تاريخ وطني، وتلك التجاعيد في جبينه تحكي تفاصيل حكاية وطني المتعب. لم يكن أبي غضوباً أو حقوداً، لم يعرف اليأس أو الملل. دؤوباً في عمله متفانياً في بناء أسرته الصغيرة.....

في العدد القادم

آثار الرقة بعد التحرير.. كيف نحميها ونحافظ عليها؟!

منازل الدنيا

متاهة الدمار..!

ماجد رشيد العويد

لم تكنْ مقولةُ الرشيد: "الدنيا أربعة منازل: دمشق والرّي والرقة وسمرقند" لتقفَ عند حدود زمانه، فمثلُ هذه المقولة يشبه كثيراً تلك الغيمةَ التي أينما ذهبت فسوف يأتيه خَراجها.

والرقة من هذه المنازل تريد اليوم أن تعود كعهدها بهيةً، طَلِقةَ المحيّا خضراءَ بديعة النسمات، حتى إذا ما رقّت المشاعر منها وجدْتَ الدنيا في حلّتها تلك النضرة، فتحنو في غير منّة على من نزح إليها، ثم تغفو معهم على أمنٍ مرتجى.

القول الفصل في هذه العودة نلمسه في إرادة ملأت جنبات المدينة، فنهض ورثة شهدائها وشهداء سوريا بالأمانة تقودهم عزيمةٌ لا تفتر وسعيٌ هو بعض ما تريده لذاتها.

ولأنّ من طبع الطغاة حرقَ المدائن فقد دخلت الرقة متاهة التدمير مثلها فيه مثل حمصَ وريفِ دمشقَ ودير الزور وغيرها، ولَسوف يسجّل التاريخ أنّه تمّ تدميرها مع باقي المدن السورية على يد نظام أفّاق لا يعرف حرمة لبشرٍ أو حجر، وأنها ما لبثت أن نهضت مع شقيقاتها على نحوٍ أجملَ مما كانت عليه، فالخلاصُ من الاستبداد بداية الطريق إلى الحرية وإلى البناء.

وأمّا عدد الشهداء الذي ناهز مئة ألف شهيد فإنّما يدلّ على أسطورية هذه الثورة، وأنّ العزم الذي انعقد لا يلين ولا يهدأ بغير نوال الحرية كاملة غير منقوصة. تزينها كرامة هدرها نظامٌ حَكَمَ طوال أكثر من خمسين سنة، وعاد بالبلد مئاتٍ من السنينَ إلى الوراء، وأراد أن يعود بإنسانها إلى مجرد حيوان يأكل ما يُلقى له من فتات.

لكنّ السوري الذي نهض معلناً أنه "إنسان، وليس حيواناً" أدّبَ المجرمين والطغاة في البلد، وما حوله، وقرّر أنه لا عودة إلى ذلّ مكّن المجرمَ من حيازة أموره واستعباده، وأنّه اليوم يقوم عليه وعلى براميله المتفجرة، وأن ثورته العظيمة هذه سوف تلقي به إلى مزابل التاريخ غير مأسوف عليه.

لم يكن أحد في الدنيا ليصدّقَ أن السوري سوف ينهض من غفوته أو قُلْ من كبوته، وإن شئت من رماده. غيرَ أنّ السوري نهض خالقاً ذاته العظمى، وقرّر أن يدفن مرةً واحدة وإلى الأبد أولئك الذين أذلّوه وأولئك الذين تمترسوا خلف ثابتٍ كربلائي حاقد.

السوري اليوم هو حسينُ هذا الزمان، والحسين عربيٌّ وليس فارسياً، وأمّا الذين قتلوا الحسينَ فهم ذاتهم الذين يقومون اليوم على قتل السوري فوق أرضه وداخل منزله.

أخيراً، نحن في "منازل" نبارك ثورتنا العظيمة، ولا نملك غير الكلمة نسوقها مطراً يروي أرضها.

تحية إلى أرواح شهدائنا العظام، وبورك التراب الذي دثّرهم، والرحمة لهم.

الرقة في قلب تركيا

أرضُ الشتات

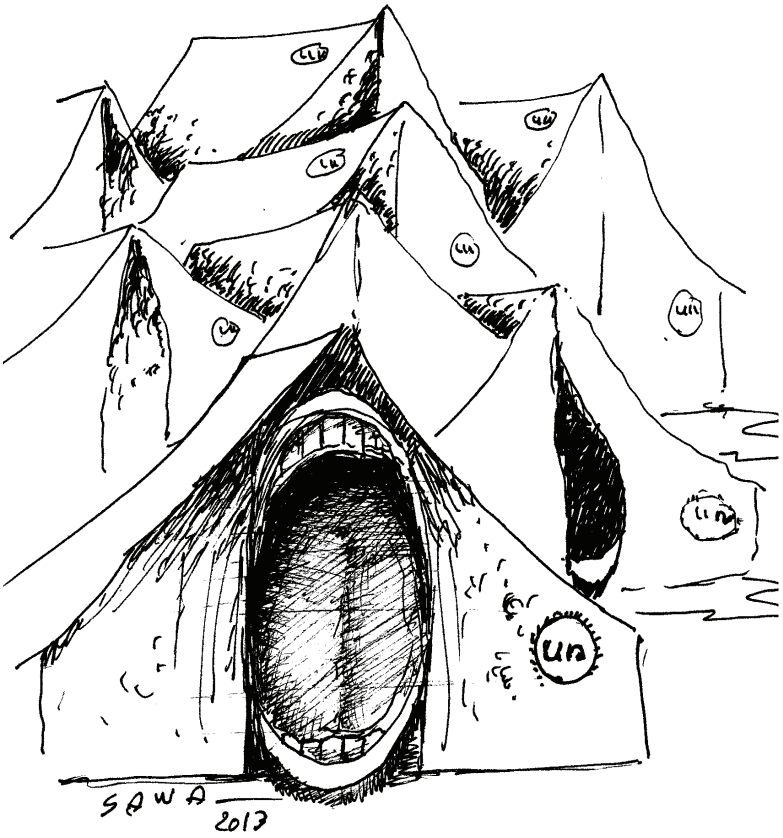

لم تكتمل فرحةُ تحرير مدينة الرقة، فما لبث أهلُها ينعمون بحريتهم، حتى بدأت الغارات الجوية للطائرات الحربية والعمودية بإلقاء قنابلها وبراميلها وصواريخها وقذائفها على السكان الآمنين، فتدمرت البيوت على ساكنيها، وتملّك الناسَ الخوفُ والفزع، وانتفضوا مذعورين، يبحثون عن ملاذ آمن لأسرهم وعيالهم، وفي لحظة باتت الرقة خاويةً على عروشها إلا من عدد قليل من ساكنيها، ثمّ شيئاً فشيئاً بدأت ملامح الأمان تعود إلى الديار، فعاد مَن عاد من أهلها وبقي الكثير منهم في ريف الرقة، وفي تركيا.

كيف يعيش أهل الرقة في تركيا؟ وما هي دوافعهم للنزوح واللجوء هناك؟ وهل ننتظر منهم العودة إلى ديارهم في القريب العاجل، أم أصبح البيت الجديد بيتهم الثاني بعد الرقة؟ أسئلة عدة هي محاور أساسية للقاءات أجريناها معهم في تركيا.

وللحديث عن أحوال اللاجئين في تركيا التقينا أولاً بالأستاذ محمد المدفع، الذي حدثنا قائلاً: في مساء له نكهة التحرير باقتلاع مواقع الفروع الأمنية التي لها في حياتنا وقع مهين بل مريع, شهدنا معركة قصر المحافظ، وكان بيتي في حي الثكنة وسط المعارك, أصوات المدافع والدوشكات والار بي جي والرصاص تملأ السماء، وحركة المقاتلين في شارعنا والأولاد يبكون فزعاً لمشهد لم يروه من قبل حتى أنهم ذهبوا يبحثون عن زوايا آمنة في المنزل, حينذاك أحسسنا أن حقد النظام سيكون قاسياً على مدينتنا غادرنا إلى الريف وبقينا يومين، وكان مشهد الطائرات والقصف على المدينة أكثر رعباً, لم أعد احتمال رؤية أولادي في هذه الحالة فقررت أن أبعد الأطفال والنساء عن حالة الرعب هذه فاتجهنا إلى تركيا, بقينا يومين في أورفا في الفندق ثم استأجرنا شقة صغيرة مفروشة في مدينة غازي عنتاب.

ويتابع المدفع حديثه عن أحوال اللاجئين قائلاً: أورفا امتلأت بأهل الرقة أما عنتاب فأكثر اللاجئين فيها من حلب.

وأوضاع اللاجئين في جميع المناطق التركية تتركز بعدة نقاط أهمها التدرج في هبوط العملة السورية حتى بلغت الليرة التركية تعادل 85 ليرة سورية فكان يجب علينا يومياً مراقبة أسعار العملات. وارتفاع أسعار السلع بشكل مضاعف عن أسعارها في بلدنا، وهذا لا يتناسب مع دخل السوريين، علماً أن السلع التركية في أسواقنا هي أرخص بكثير من هنا.
وغلاء الإجارات فقد وصل إجار الشقة الصغيرة إلى 600 ليرة تركية كحد أدنى.

في تركيا على الأغلب يؤجرون دون فرش، وعلى المستأجر أن يتكفل بتأثيث البيت فيدفع بذلك تكاليف إضافية باهظة.

يعاني السوريون من مشكلة عدم معرفة الأتراك باللغات الأجنبية، فحتى الانكليزية وهي الأكثر انتشاراً في العالم لم نجد من يتحدث بها عند أغلب شرائح المجتمع التركي مما يشكل صعوبة في التواصل مع الآخرين.

وحول ما قدمته تركيا وشعبها للسوريين، يقول: لابد من القول إن تركيا قدمت الكثير للشعب السوري من حيث الدخول والخروج، فالكثير من النازحين دخلوا دون جوازات سفر أو أوراق رسمية بطريقة لم تفعلها أية دولة أخرى, ولابد أن ننوّه أن تركيا فتحت مدارسَ بمناهج سورية ومعاهد لتعليم اللغة التركية مجاناً, لكن الأحداث المؤسفة التي حصلت في معبر تل أبيض وأحداث الريحانية تركت آثاراً سيئة للغاية على وضع السوريين في تركيا أدّى إلى إغلاق المعبر وما خلفه من صعوبات في التنقل، كما أدّت هذه الأحداث إلى رد فعل سلبي ضد السوريين برفض تأجيرهم بيوت في عنتاب، والاعتداء على سياراتهم في عدة مناطق.

وعن الألم الذي أحدثته الغربة في نفوس المدنيين، يقول: رحلة اللجوء مؤلمة رغم أننا نسكن في منطقة جميلة و مخدَّمة, فالقصر هنا لا يعادل زاوية في منزلنا في الرقة، لقد تركنا في الرقة الجيران والأصدقاء والأقرباء.. تركنا ذاكرتنا وأعمالنا وطلابنا وزملاء المهنة.. تركنا مستقبل أولادنا وأحلامهم ومدارسهم وجامعاتهم.. تركنا والدتي المقعدة التي ندعو لها بالشفاء والصحة ونحن بعيدون عنها.. تركنا كل شيء ونحن في بلد ليس لنا بل لأهله, أما نحن فلا يحضننا سوى تراب الوطن أحياءً أو أمواتاً.

ويختتم بالقول: هناك صعوبات مادية تفوق إمكانات معظم اللاجئين، فمنهم من عاد، ومنهم من ينتظر، ومنهم لم يستطع إليها سبيلاً.

هناك صعوبات مادية تفوق إمكانات معظم اللاجئين

ويوجز الناشط ممدوح السعيد الأسباب التي دفعته للجوء إلى تركيا بخوفه المتعاظم على أسرته جراء الأعمال الحربية، وتعرض مدينة

الرقة للقصف الجوي والمدفعي بشكل يومي، ويقول: بقيت في الرقة مدة شهر تقريباً بعد التحرير، ولم أكن أفكر بالنزوح أبداً، لكن نتيجة إصرار الوالدة على ترك الرقة اضطررت للرحيل مع أسرتي، لكن صدقني مع كل محاذير الغربة، اكتشفت قدرة أسرتي على التلاؤم مع وضعها الجديد، فأولادي الثلاثة يعملون بجد، ويكسبون ما يكفي لسد حاجتنا اليومية، في السابق كان الأولاد لا يعتمدون على أنفسهم، وأكاد لا أجدهم في البيت إلا لماماً، وإن وجدتهم فإما نياماً أو جالسين وراء حواسيبهم، أو هواتفهم الجوالة، صحيح إنني أفتقد الرقة، لكن أعزي نفسي أنني ربحت أولادي.

وحول إقامته في أورفا، يقول: الحياة في تركيا مريحة جداً، فكل شيء مرتب، والمواطن التركي يحترم القوانين والأنظمة، ومنذ اليوم الأول لمكوثنا في البيت الجديد الذي استأجرته بالقرب من مقام إبراهيم الخليل، زارني مختار الحي ودعاني لزيارته في مكتبه، وزوّدني هناك بجملة من التعليمات، تبدأ بالإشارة إلى المشفى 500 وهو المشفى الذي تم تخصيصه لتقديم المساعدات الطبية للسوريين مجاناً، إضافة إلى تأكيده على تقديم بيانات الأسرة كاملة، وفي حال حدوث أي طارئ الاتصال بالمكتب، وطلب المساعدة لتقديمها لأي جهة حكومية أو غيرها.

ويؤكد الشاعر المحامي عبد الكريم الجوهر أن الغربة مرّة إن كانت قسرية أو طوعية. لكن الفرق كبير بين أن تختار الهجرة بنفسك، طلباً للعلم أو العمل، أو تجبر عليها نتيجة ما مرَّ ببلدك من مصائب ومحن. وأنا خرجت من بلدي مجبراً، أبحث عن مكان يأوي أطفالي هرباً من بطش الظالم، وبحثاً عن لقمة العيش التي سُدت في وجوهنا منذ أشهر قبل التحرير، فالعمل المهني الذي كنا نمارسه في البلد قد تعطل وأصبحنا بلا وطن ولا عمل. وفي الحقيقة الوطن هو من أصبح في غربة، وهنا أستذكر قول الشاعر مظفر النواب، الذي بات ينطبق على جميع أبناء وطني بالداخل والخارج بل وينطبق على الوطن ذاته، يقول: "يا وطني وكأنك في غربة وكأنك تبحث في قلبي عن وطن أنت ليأويك نحن الاثنان بلا وطن يا وطني"..

وقد اخترت أقرب مكان إلى رقتي الجميلة وطني الأول رقة هارون وهي مدينة أورفا التركية التي لا تبعد عن حدود سوريا وتل أبيض سوى50كم، وذلك حتى أضع أسرتي وأولادي في مكان آمن، ويوفّر لي فرصة التنقل بين أورفا والرقة كيفما أشاء، وذلك للتواصل مع أبناء بلدي علّي أستطيع تقديم يد المساعدة ولو بأجزائها المحدودة.

الحيـــاة في تركيا مريحة جداً، فكل شيء مرتب، والمواطن التركي يحترم القوانين والأنظمة

وحول معاملة الأتراك، والمعاناة التي يعيشها السوريون، والمبادرات التي قام بها أهل الرقة، يقول: الأتراك شعب طيب مضياف رغم كل ما قيل عنهم، ولكن مستوى المعيشة هنا لا يستطيع عليه أي مواطن سوري من أصحاب الدخل المحدود، فمعدل الدخل في تركيا مرتفع جداً قياساً لدخل السوري، ومن أجبر على النزوح من الرقة إلى أورفا في الحقيقة يعاني الكثير من الصعوبات فمثلاً سعر رغيف الخبز 40 ليرة سورية، وأجور النقل الداخلي للراكب ضمن أورفا نحو 80 ليرة سورية، هذا عدا الأكل والشرب، والسكن المرتفع الذي يتراوح ما بين 25- 90 ألف ليرة سورية شهرياً، بادرنا هنا لتشكيل رابطة للسوريين المقيمين في أورفا تهدف إلى تنظيم شؤون النازحين السوريين والاهتمام بمطالبهم واحتياجاتهم، وهذه الرابطة غير سياسية، وغير ربحية هدفها تنظيم شؤون السوريين والتقارب مع الجانب التركي لإظهار الجوانب الايجابية للسوريين، ودعمهم بما نستطيع، وسيتم الإعلان عن الرابطة أو الجمعية قريباً، ونتمنى لها النجاح في القيام بمهامها. كما تم افتتاح مدرسة للسوريين المقيمين في أورفا بجهود شخصية لعدة أشخاص من ضمنهم المهندس إبراهيم مسلم وخليل البري وويس جديداوي بارك الله فيهم، ولجهودهم في نشر التعليم الذي افتقدناه في سوريا، يتنعم به أطفالنا وينسيهم مناظر الرعب الدامية المترسخة في مخيلاتهم.

ويختتم الجوهر حديثه قائلاً: لولا الحالة النفسية والمرضية لأبنائنا الصغار التي نتجت عن الغارات الإسرائيلية، عفواً لقوات النظام المجرم لمدينة الرقة، ولولا عدم الاستقرار الذي يعيشه البلد في ظل التحرير الذي أراه يناقض هذه الكلمة لما كان لنا جميع السوريين المقيمين في أورفا أي بقاء في هذا البلد رغم كل ما نحمله لأهله الطيبين ولحكومته من ود وعرفان. بارك الله في رقتي الجميلة وحمى أهلها الطيبين، ونصر الثوار الشرفاء في كل مكان من قطرنا الحبيب، وبدلاً من الشتات نصبح على وطن بعون الله.

هكذا هم أهل الرقة في أرض الشتات، يتوقون للعودة إلى ديارهم، كما أفصح لي العديد منهم خلال لقائي بهم في أورفا، وننتظر بفارغ الصبر أن يعود الأمن والأمان إلى ربوع بلادنا السورية، ويعود أهلها إلى بيوتهم وأعمالهم، ينعمون بالحرية والسلام.

يوسف دعيس

هامش على طبائع الاستبداد

من ديوان "حيث لا ضوء إلاّ أحداق الذئاب"

فات الكواكبيَّ أنَّ الاستبدادَ مشتقٌّ من (الأبدْ).
فضاءٌ يوقِدُ الأرضَ مطبخاً لشهواتِ السماء،
ويَسُوق النهاراتِ زحفاً إلى حضائر الليل.
هواءٌ يَنحت الأشكالَ سنابلَ لمناجل الموت.
ويمزِّق المعاني موجةً موجةً فوق صخور السكوت.
ترابٌ يعبُّ دماءَ الحاضر سماداً لبذُور الأمس،
ويرصِفُ الخطى أدراجاً نحو صقيع الهاوية.
عصيٌّ أطولُ من التاريخ، أغلظُ من اللعنات،
أمضى من الصواعق.
يهشُّ بها على القطيع المتموِّج
من دفقةِ الصلصال حتى نفير الصُوْر:
للسارحين في مُروج الـ(نَعَمْ)، الخاشعين لشبّاباتِ
اليقين، الطافحةِ ضروعُهم حَمْداً ورضا، فسحاتٌ
يصرفونها كيفما شاؤوا: ثغاءً، قفزاً، اجتراراً، سِفاداً،
تناطحاً... كلٌّ ومطاله ضمن الطابور القويم المؤدي صباحاً
إلى ماكينات الحَلْبِ، ومساءً إلى باب المسلخ.
وفرادى يُقصى النافرون إلى صحارى اللا، أو أدغالِ
الحيرة، أو قممِ العزلة.
حيث لا نسيمَ إلاّ سياطُ الظمأ،
لا ضوءَ إلا أحداقُ الذئاب،
لا دِثار إلا شَفَرات الجليد.
ألسنةٌ تتبارى في تأويل السراب،
أقدامٌ تُغْمَدُ دامية بين ثعابين الرمل،
ورئاتٌ تكتم هبوباتها حرصاً على خلود نيرانٍ لا تردع
ضبعاً، لا تؤنس طيفاً، ولا تجتذب فراشة.

احمد حافظ

الوشم

د. نجاة عبد الصمد

كلّما مرّ الجرّاح بساحة المدينة، ورأى أسراب الوشوم تختال كالغربان قفزت إلى ذاكرته صور شقيقاتها القديمة التي رسم بيديه مصيرها البائس.
يذكر أنه قليلاً ما استساغ رسومها العجفاء، ونادراً ما لفتَهُ فيها أيُّ إبداع: (أفعى هزيلةٌ تلتفّ على ذراع سمينة)، (جمجمةٌ تحتها عظمتان متصالبتان)، (قلبان مثقوبانٌ بسهم الهوى)، ("باطل" المسروقة من (أبو عنتر) دون إذنٍ بحقوق الاقتباس)، (رسمُ حوريّةٍ بليدةٍ لن تُغوي شابّاً محروماً، ولن تُلهم شاعراً مأزوماً، ولن تقنع واحداً من عامّة الخلق أنها أسطورة البحر)، (اسم الموشوم يخاصر الحرف الأول من اسم حبيبةٍ لم تعد حبيبة، يقول عادةً إنها هي التي خانت).
طاله الندم بعد اقتلاع أيّ وشمٍ، آلمه أن تكنس يداه هذا الشاهد الحيّ على جزءٍ من تاريخ حامله. لكنّ ندمه العابر لم يمنعه من إهفاء العشرات منه بعد أن يصدح الإعلان في الراديو والتلفزيون والجرائد الرسمية:
(تعلن وزارة الداخلية عن حاجتها لعدد من الشبان الراغبين بالتطوّع في قوى الأمن الداخليّ من حملة الشهادتين الابتدائية أو الإعدادية، ممّن أتمّوا الثامنة عشرة......)
يتقدم (الراغبون). يفاجئهم شرطٌ أليمٌ من بين الشروط الفرعية للقبول: (الخلوّ من العلامات الفارقة (غير الخلقيّة) كالوشم وغيره...)
من محاسن الصدف أنْ يكون معظم المتقدّمين موشومين. يروحون إلى عيادة الجرّاح ضارعين لشطب العلامة الفارقة قبل انتهاء مهلة الإعلان.
يتأمل هذه الوشوم الوديعةُ كيف تتماهى مع يد حاملها أو ظهره أو صدره، ويحدس أنها لن تسكت على ضيم؛ ستقاوم بعنادٍ حين يُدميها المشرط، لن تستسلم للزوال قبل أن تودع مكانها ندبةً أبديّةً تنتقم من عافية الذراع الذي سيبيع تاريخه طمعاً في وظيفة الشرطة.
وعلى الجرّاح بدوره ألاّ يستسلم. أن يسعى بعقله وصبره ومشرطه لإخفاء مكان الوشم، لتصغيرِ الندبة الباقية وصقلِها وهندستها. كلّ وشمٍ يقتلعه تمرينٌ ثمينٌ في هذه الجراحة التجميلية العسيرة. لم يكن يجني من جراحته هذه مالاً لأنّ مرضى الشرطة فقراء. يروحون إليها كي يقبروا الفقر، وكي يهربوا من خدمة العلم. معظمهم استدان حتى ثمن الطوابع اللازمة لطلب المسابقة. كانوا فقط يشكرونه بعد أن يرمي جلودهم المسلوخة في حاوية الزبالة المخصصة للنفايات الطبيّة، وينطقون بأسفٍ بليغ: (عليك الصبر، وعلينا الوفاء). ينوون في المستقبل أن يردّوا للطبيب خدمته، في زمنٍ أقصاه سنتان، وربما: ثلاث سنوات، حين سيتمكّنون في وظيفتهم، وينتقلون من الريف الكئيب إلى قلب المدينة. حينها لن يردّوا دَينهم مالاً؛ بل خدمات: السماح له مثلاً بتجاوز الإشارة الحمراء، أو الوقوف في الأماكن الممنوعة، أو شطب مخالفةٍ ظالمةٍ دوّنها شرطيٌّ آخر. معظمهم ساروا على خطا أسلافهم فور التقدّم إلى المسابقة وقبل فوزهم بالقبول، فشرطيّ الغد لا يدفع لقاء خدمات اليوم.
كان ميزانُ الجرّاح دوماً خاسراً معهم، لأنّه لا يميل بطبعه إلى مخالفات السير. لكنّه، ومنذ بداية العام الماضي فقد غواية طقسه السنويّ، خسر الخامةَ الملهمةَ لتطوير مهاراته.
أصحاب الوشوم راحوا يتطوّعون هذا العام في اللجان الشعبيّة.

سوريا، هل يقف المرء أمام المرآة ويبدأ القصف؟

انتصار عبد المنعم-مصر

نشأت على حكايا الوالد عن جمال سوريا وكرم أهلها ساكني الغوطة الذين كانوا يستقبلون ضباط القوات البحرية المرافقين للزعيم جمال عبد الناصر بالدبكة والغناء. كنت أستمع وأرسم لنفسي صورة تتسع وتتسع كلما كبرت والتقيت أصدقاءَ من دمشق وجبلة وحلب، جمعتنا أيام الغربة والشتات خارج أوطاننا. وتكبر الصورة وتزداد بريقاً عندما جمعني همّ الكتابة بأدباء من سوريا، صاروا لي الأهل والإخوة وإن باعدت بيننا الجغرافيا. حتى إذا هبّت عواصف الربيع العربي، بدأت الصورة التي ثبتت في ذهني في التشقق، فالغوطة لم تعد بعد اليوم غوطة. أما أصدقاء الشتات والغربة فقد تغرّبوا مرة أخرى، ولكن هذه المرة توزعوا بين غربة الموت غيلة، وإن كانوا في بيوتهم، والموت على الحدود هرباً من الموت المحلي والفارسي الصنع. أصدقاء القلم تنقطع أخبار الواحد منهم تلو الآخر. وسيف العجز يكبلني، وأتمنى ألا ليتني لم أعرف منهم أحداً! فما فائدتي وأنا قابعة عاجزة أنتظر كلمة من أحدهم على الفيس بوك تخبرني أنهم بخير؟ ما جدوى صداقتنا ونحن أسارى أنظمتنا العربية التي وضعت الحواجز والحدود حتى صرنا في أوطاننا سجناء تحيط بنا القضبان من كل جانب؟ ما جدوى الانتظار وهو كالحريق الذي يلتهم الأعصاب انتظاراً وعجزاً عن فعل أي شيء لهم؟

يختفي "ماجد" فأتمنى أن يحترق جهاز الكمبيوتر لأعلل اختفاءه بعطل الجهاز لا أي شيء آخر. ويختفي "شاهر" وأتخيل أنه يبدل جلسته التي يصر عليها في صورته على الفيس بوك وهو على شجرته التي يعلن من فوقها انتصاره على الحزن والهم كل دقيقة وسخريته من الحياة والموت.

أتمنى أن يعود الزمن، فلا أعرف ابتسام تريسي وعبد الرحمن حلاق ونور حلاق. تمزقني "ابتسام" في كل لحظة تكتب فيها إلى "تور" الذي غاب في سجن النظام "الفاشستي" الذي لم نره يوماً يستقوي على من اغتصب الجولان، والآن يعلنها حرباً في أمثال نور عبد الرحمن حلاق ورفاقه. النظام الذي قبع على قلب سوريا يشبعها بحديث الممانعة والمقاومة بينما سلاحه اليوم موجّهٌ إلى سوريا نفسها. أرى في الجميع صورة سوريا الكاملة، لا أعترف بطائفية النزاع الذي يزعمون، ولكني أعلم تماماً أن المقتول مكتوب في بطاقته أن محل المولد سوريا. فما بال الرصاص متعدد الجنسيات؟ هل يميز الرصاص اليوم بين قلب امرأة سنية وصدر طفل درزي أو علوي؟

أنا على يقين أن من يجرؤ ويصوب سلاحه إلى قلب امرأة قليلة الحيلة، أو يضع سكيناً على رقبة طفل كالملاك، أو شاب في عمر التوهج، أو عجوز كان يرجو أن يفارق الحياة في سلام، لم يمشِ يوماً تحت شجرة لوز في الغوطة، ولم تظلله فيافي حدائقها.

على يقين أن من تمتد يده ليذبح ويحرق، لم يعش يوماً في حماة ودرعا وحلب واللاذقية والرقة ودمشق ودير الزور، ولم يشرب يوماً من الفرات ولا بردى ولا العاصي ولا من عفرين.

على يقين أن سوريا ستنتصر، ونعود كلنا إليها، نعمّر مبانيها في النهار، وفي ليلها المقمر، سنرقص الدبكة في الغوطة من جديد.

خواطـــــر سوريـــــة

ابتسام تريسي

ليس من السهل أن تتجاوز محنة اعتقال ابنك الوحيد، وتشعرَ أنّك جزء من ألم عظيم يطحن ملايين غيرك ما لم تكن سورياً!.

في الدقائق الأولى لاعتقاله ارتجف قلبي، وتصدّع، ومادت بي الأرض.. وشعرتُ أنّ كلّ شيء حولي ينهار.. لكنّي خلال أقلّ من ساعة تآلفت مع ألمي بإرادة أمتلكها مسبقاً، كما تمتلكها كلُّ أمّ سورية ولدت أبناءً أحراراً رفضوا إرث الذل الذي رضخ له أباؤهم..

أربعون عاماً كانت كافية لأمتلك الحصانة الروحية التي تتغلّب على واقع الحال الذي لم أتخيله يوماً، وإن استشعرت قيامته حين كتبت "عين الشمس" وأيقنت أنّه آتٍ لا محالة حين تناقشت مع ابني في بداية الثورة، فصدمني فكرُه الذي تجاوزني على الرغم من كوني - سابقاً - كنت أنظر إليه على أنّه مثل آلاف الشباب غيره المتعلقين بالتكنولوجيا ومظاهر الحياة المرفهة، الذين يستثقلون قراءة كتاب في السياسة أو الاقتصاد أو حتّى رواية!.

أوّل درس تعلّمته على يدي ابني كان "كونك كاتباً وقارئاً ومثقفاً لا يعني أبداً أنّك حر! لا يعني بالضرورة أن تهزم الخوف والرقيب داخلك، أنت أجبن من أن تصرخ "سوريا بدا حريّة"..

ربّما كان للمسافات التي فصلتني عنه أثناء دراسته الجامعية الدورُ الرئيس في انفصام عُرى اندماجنا الروحي، فقد كنت على معرفة تامة بكلّ تفصيل في حياته مهما كان صغيراً وخاصاً، على الرغم من كونه خرج على سيطرتي عندما أصبح في الثانوية العامة.. أعترف.. لقد كنت ديكتاتورية في تعاملي معه إلى أبعد الحدود.. وقد أعطته دمشقُ الفرصةَ ليتخلّص من التأثيرات السلبية لتربيتي الصارمة له!.

الاعتقال أعادنا روحاً واحدة!.. كنت خلال سنة وشهر من غيابه القسري في أقبية المخابرات وقبل تحويله إلى محكمة الإرهاب منذ شهرين ونيف.. أعيش معه داخل المعتقل، روحي تشعر بكلّ ما يجري له.. وكنت أرسل له دائماً طاقة إيجابية ممثلة بضحكة.. أخرج إلى قاسيون أقف عند القمة، وأرى دمشق أمامي، أحدّق إليها جيداً لعلّي أحدّد البقعة التي يقبع فيها جسُده.. وكانت روحي دائماً تهيم في أرجاء المزة!.

بعد تحويله إلى السجن كتب لي "لقد كنتِ معي دائماً يا أمّ نور، كنت شابة في العشرين، وكنتِ رفيقتي، لم تفارقيني أبداً، حدّ أنّي آمنت بسفر الروح. ماذا أحكي عنكِ؟ انتظريني.. سأكون عندك وسأحكي لكِ كلّ شيء، فعلاقتي بك داخل المعتقل لوحدها رواية!".

كنت أخاف من ضعفي، أخاف من دمعي، لذا نذرت ألّا أبكي حتّى أراه أمامي خارج القضبان.. لا أنكر أنّي لم أحافظ على نذري مرّة أو اثنتين.. لكنّي كنت على ثقة أنّ احتماله داخل المعتقل، يستمدّه من قوتي خارجه. لم أخذله.. تعرّفت إلى أصدقائه الذين عمل معهم في الإغاثة، وأخذت مكانه لفترة قصيرة، لكنّها كانت كافية لمدّ روحي بإيمان عجيب بأنّي سأراه يوماً.

أصدقاؤه لم يبقوا على قيد التواصل معي.. فرامي هناوي ابن السويداء الذي قال لي يوماً "لا تحزني يا أمّي كلّنا نور وكلّنا تحت أمرك" هو الآخر غيّبته عتمة المعتقلات بعد أشهر من اعتقال نور.. وماجدولين الطرطوسية الجميلة راعية الطفولة.. صارت هناك أيضاً.. وخلدون غاب لفترة في المعتقل وضاع مني بعد خروجه من هناك و...

أولادي أصدقاء نور كلّهم رحلوا.. كلٌّ لمصير أسوأ من الآخر.. كانوا يمثلون سوريا بأطيافها من أقصاها إلى أقصاها.

لا أنكر أيضاً أنّ إيماني ذاك تزعزع قليلاً حين مرّت أشهر ستة ولم يخرج أحد من المعتقل ليقول لي إنّ ابني هناك حي.. لكنّي عدت ليقيني أنّ حياته في الداخل مرهونة بمدى احتمالي وصبري!.

فكرة كتابة الرسائل أطاحت ببقايا شك راودني أنّي فقدته.. لقد كانت فكرة رائعة، جعلتني أعيش معه في الداخل، وأكتب أحاسيسه، وأنشرها في صفحته على الفيسبوك.

عاد نور حياً من جديد، يكتب للناس رسائل من خلالي، يحكي فيها أحاسيسه، ويمتنع عن ذكر التفاصيل المؤلمة للتعذيب الجسدي في الداخل.. تلك التي أحسستها جيداً في أوّل تحقيق كان معه في فرع التحقيق بالمزة، وقد كتبت عنه في روايتي الأخيرة "مدن اليمام".

أوّل من نبهني إلى أهمية تلك الرسائل ابني المعتقل السابق "فراس فيّاض" والذي تابعت قضية اعتقاله منذ أخذوه من مطار دمشق وحتى الإفراج عنه، ونشأت بيننا صداقة تمخّض عنها شخصية المعتقل في "مدن اليمام".. فراس قال لي "اكتبي له يا أمّي فالكتابة ستساعدك على تجاوز المحنة، وستكون درساً لأمهات المعتقلين في الصبر والاحتمال".. لكن الخاطر تحوّل من الكتابة إليه إلى الكتابة بلسانه.. فصرت إليه.. أهبط عالم الأموات_ الأحياء في

الأقبية المظلمة، أراهم بعيني روحي، أحدثهم وأعيش آلامهم، وأكونه.. كثيراً ما شعرت أنّي ونور روحٌ واحدة.. نفكّر بالطريقة نفسها ونحس بجسد لا يمكن له أن ينفصل حدّ أنّي شعرت يوماً أنّه ليس هناك في عماء المعتقل بل في رحمي لم يفارقه لحظة!. فعاد طفلاً.. علّمني درس الأمومة الأوّل.. لعبنا سوية، تعلّمنا الأبجدية، كتبنا دروس الحياة الأولى على دفاتر الوقت.. رسمنا وجه الأب الغائب.. خبّأنا أسراراً صغيرة على شكل كلمات في فوهة النبع، ركضنا في الطرقات الجبلية، حملنا الفأس، اجتثثنا الأعشاب الضارة، وسقينا نباتات خضراء شقّت التربة متحدية عين الشمس في الصيف القائظ.

سافرت معه ثانية إلى بيروت.. وأعدت تفاصيل الحياة التي عشناها معاً في تلك الرسائل.. فكانت لي عوناً.. وأكسبته أصدقاء لا يعرف عنهم شيئاً وهو هناك في العتمة!.

لم نتبادل الأمكنة بجسدينا، لكننا استطعنا تبادلها بروحينا..

من سجن عدرا أرسل لي رسالة تطابقت تماماً مع إحدى الرسائل التي كتبتها عن لسانه.. فكانت أحبَّ رسائله إليّ.

ما أزال أنتظر نور..

لكنّي تعلمت أثناء انتظاره أن أنتظر كلّ الشباب المعتقلين، لأنّهم أولادي جميعاً.. أنشأت لهم صفحة على الفيسبوك، خاطبت أرواحهم وكأنّهم خرجوا من جسدي يوماً!.

إحدى الشابات المتابعات لصفحة الحريّة لنور.. كتبت لي رسالة منذ عشرة أيام تقول فيها "أيّتها الأمّ الغالية. لماذا غابت حروفك لنور. أين أنت؟ نور بحاجة إلى أن يشعر بنبضات حروفك وروحك هنا."

كتبت لها "كلُّ ألم عظيم يمحوه ألمٌ أعظمُ يا ميس".

سامحني يا نور فقد مرّ شهر كامل لم أستطع الكتابة لك خلاله.. ولا الكتابة عنك. ما يحدث في سوريا من مجازرَ غطّى على كلّ ألم آخر يا بني.

نور عبد الرحمن حلاق.. مواليد تموز 1988 /خريج كلية الترجمة جامعة دمشق/ لاعب كرة يد في فريق الشرطة/ اعتقل في 11/2/2012 على حاجز طيّار بتهمة حمله دواء لمستشفى ميداني.

الغربان السود..!

ي.د

دوم.. ارتج المكان من حولي، وانبعث الغبار الأسود في السماء، دفعني ابن أختي إلى الوراء، وأمسك ابني البكر محمد بيدي، صرخت بعالي الصوت يا محمد!.. يا الله!.. دفعت الاثنين من أمامي واتجهت إلى حافلة الموت، التي كانت تحت نيران القصف الهمجي، وفي الطريق دهمنا شابّ بملامحَ يكسوها الذهول، تلوح يده اليسرى جزاء إصابتها بشظية قاطعة، سلطان ابن الحارة ملقىً على قارعة الطريق، وأورال الذي جاوز العشرين بقليل منكب على وجهه، وإلى جانبه شاب آخر في وضعية مماثلة.. رأيت ابني الصغير يدفع بباب الحافلة.. الحافلة التي كانت تزينها ضحكات الركاب وضجيجهم منذ قليل، فتاة في العقد الثاني لم تغيّر جلستها سوى من انحناءة بسيطة، وخيط رفيع من الدماء يسيل من تحت الحجاب الذي يغطي شعرها، تراءى لي في جلستها ملاكٌ نائم، وناشدت من الأعماق.. يا رب..! واختلط ندائي بصراخ الناس والمسعفين وسيارات الإسعاف التي توافدت بسرعة البرق، في مؤخرة الحافلة كانت هناك جثة تسبح بدمائها، وفي منتصفها كان يجلس رجل قارب الستين، يميل برأسه نحو كتفه الأيسر، الرأس الذي لم تحفل بأفكاره ولا بذكرياته ولا أحلامه نيران القتلة، لم أنتبه إلى ملامح الرجل، ولم أسعَ لمعرفة اسمه، لأكتشف بعد دقائق أنه محمد نور العجيلي والد صديقي أحمد، يا الله!.. يا رب السماوات. هل أستطيع إعادة الساعة إلى الوراء؟ أريد أن أنوب عن أحمد في معانقته، وملامسة طهر الدماء التي أهرقتها نيران الحقد، النيران التي لم تحترم شيخوخته، ولم تفرق بين الصغير والكبير.

نيران جديدة بدأت تتأجج في صدري وأنا أشاهد الطبيب صفوان، وهو يقتحم بشجاعة باب سيارة صغيرة دفعها انفجار الصاروخ الذي أطلقه طيار أعمى القلب إلى منصّف الشارع، لم يكن بداخلها إلا السائق الذي أمال جسده العلوي إلى الجانب الآخر من السيارة، لم يكن هناك رأس، ولا جسد، ولا قميص يستر الجسد، لم يكن هناك إلا كومة من اللحم المهروس..! ازداد وجيب القلب وأنا أرى شاباً قد فارقته يده، وشاحنة صغيرة تحمل جثتين هامدتين ساكنتين.

الموت يحوم في المكان وسط الغبار الكثيف وصراخ المسعفين، انتابتني موجة من النحيب، أمسك بي أحد المارة، وصرخ بوجهي: هل أصيب أحد أولادك بمكروه..؟! أجبته بمرارة: كلهم أولادي..

دقائق قليلة، تجمّع الخلق من كل حدب وصوب في مكان الحادث، بدأت عيناي البحثَ عن ابني الثالث حازم،و فجأة لاح لي من بعيد، وفي عينيه ألف سؤال، وفي غفلة أغارت الطائرة من جديد وألقت بأثقالها في مقدمة مبنى المجمع الحكومي، طار المسعفون، وارتفعت سيارة الإسعاف فوق الأرض، واشتعلت شجرة خضراء، وتمنى الناس أن تسقط الطائرة وطيارها أعمى القلب، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، سوى أن أعمى القلب آب إلى بيته مساءً وهو منفرج الأسارير محدثاً أولاده عن انتصاره الزائف، وخبرته في اصطياد الإرهابيين..!

الساعة الخامسة والعشرون

الفراتي

على شفا جرف..!!

(1)

اشتبك السوريون في صراع حتى الموت، كما كان يفعل مصارعو الحلبة في روما، والفرق ما بين الاشتباكين أنّ اشتباك روما يقتصر على المصارعين المدربين الذين يتسلّون بدماء العبيد، أما اشتباك السوريين فشاملٌ للناس، لا يعفّ عن المتدينين، ولا عن أصحاب المذاهب، كما لا يعفّ عن الصغار والكبار، بل يأخذ الرضيع، كما يأخذ الجنين في بطن أمه، ويصادر من يقف على حافة القبر، أو من وضع رجلاً في القبر، وترك الأخرى خارجه، وينال من قومياتهم وأجناسهم، مغتصباً المرأة والرجل والطفل، قاتلاً إياهم روحاً وجسداً، فيواريهم في التراب، أو يتركهم في العراء كالحيوانات من لم يستفد من تجربته (هابيل أو قابيل..)!

(2)

يبحث البشر عن البشر، وهم يجدون بعضهم بعضاً أينما تخفّوا أو تواروا أو هربوا، فمن تغطّى بسقف نزعوا سقفه، ومن تغطّى بجدار هدموه له، ومن توارى في كهف أو مغارة أو أثر عتيق، دمروا كهفه وقصفوا مغارته، بما فيها المغارات الصغيرة التي كانت تضوي فيها كلاب لا تهش ولا تنش، ولا تنبح الطرّاق أصلاً..!

سطا الجلاد الذي لا يتساوى مع الضحية على الثقوب التي في الجدران فأعطوها لقنّاصة النظام لكي يردوا من خلالها أي بشر أو حيوان يسيل دمه، وسطوا على الأنفاق التي حفرها المستضعفون في الأرض، فردموها ليخنقوا أي بشري يحاول استخدامها.

لم يكتفوا بقتل البشر والحيوانات، بل لقد أضافوا فردوسنا المفقود أو منازلنا التي تسترنا وتحمينا لندمرها بالقنابل البرميلية، وبحثوا عن الحرة التي تأكل بثدييها ليعمموا عارها على الكل، وهكذا لم يبقَ بشر على بشر، كذلك لم تبقَ سيارة على أختها، ولا حجر على حجر، ولا شل قطن على شل قطن، ولا شوال قمح على شوال قمح آخر، ولا برميل نفط على برميل نفط، ولا شجرة على شجرة، ولا صنم على صنم سواء أكان الصنم من تمر أم من حجر أم من شجر..!

رسائل إلى حبيبة تشبه الحرية..

الروائي الراحل نبيل حاتم

الرسالة الأولى

حبيبتي..

في عتمة الليل إذا تلاقى قلبانا فلا بد أنهما سيهزمان الظلمات.

دعي حلمك ينام في حلمي...

كي أفك ارتباكاتي كلما هاجمني الظلام.

في غدٍ، حين أنهض سأعيد ترتيب أجزائي قريباً منك، وستبقين أنت، أنتِ ولا أحدَ سواك يعيد النبضَ إلى قلبي بعد أن تغتاله رصاصة.

لو متُّ فسوف تريني أتكاثر مثل نبات السماء، أغطي الأرصفة والشوارع.. أتسلّق إلى النوافذ المغلقة، أفتحها لتدخل رائحتك إلى مخادع النيام حيث ينام أصحابها بالسرِّ ويستيقظون بالسرِّ.

لا تعجبي حبيبتي..

كنت دائماً موسوماً بك، على جبيني وعلى صدري..

لا علم لي بمن يحيا أو يموت بحثاً عنك، لكني عرفت للتو أنني متُّ على درب اللاعودة ولم يبقَ مني إلا ذاكرة تعيد مشهد يديك تهزان الأجساد المتعبة المعذبة في كوابيس الليل كي تستفيقَ على قبلة جديدةٍ من شفتيكِ...

أبـــي والـــرد علـــى الغـــارة الإسرائيليـــة

كتبت إثر استشهاد والدي بطائرات الأسد

أحمد العُجيلي

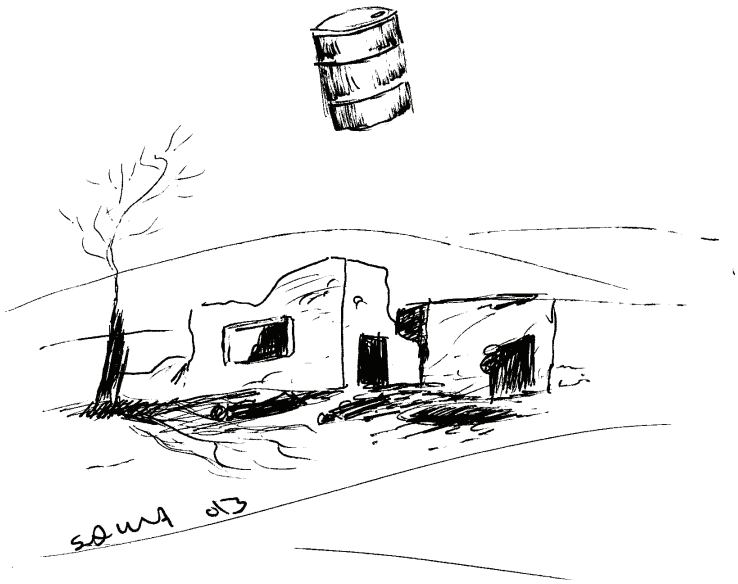

أبي والرد على الغارة الإسرائيلية :

"كتبت إثر استشهاد والدي بطائرات الأسد"

أبي طالما فخرت بحملي اسمك على هويتي.

عاش أبي مثالاً لذاك السوري الذي يحرق عمره، ليجعل من حياته شمعةً تنير درب أبنائه.

عظيماً كالفرات يفيض حبّاً وحناناً، في يدي أبي تاريخ وطني، وتلك التجاعيد في جبينه تحكي تفاصيل حكاية وطني المتعب.

لم يكن أبي غضوباً أو حقوداً، لم يعرف اليأس أو الملل. دؤوباً في عمله متفانياً في بناء أسرته الصغيرة. كثيراً ما كان يُسعِد الآخرين بطُرفةٍ وحديثٍ يزيد من حلاوة روحه، التي كان يخفي وراءها تعب السنين.

عاندته الحياة كثيراً فعاندها وبقي مصمماً على بناء أسرته بعرق جبينه، مؤثراً على نفسه في سبيل غيره. أفنت الظروف جسد أبي.. فلم تفنِ حلاوة روحه تلك السنون. كان أبي صخرة صلدة في الملمات، يبحر في لُجّة الأمواج العارمة.. تنوء الجبال وتشتكي من ثقل حمله، ولكنه مبتسمٌ على الدوام.

كم كان أبي عظيماً..

ولو نقص أحد فراخه على مائدة الطعام، لا يشعر براحة ولا يقوى على هضم زاده، يكابر على نفسه ولا يشتكي. وطالما لبس الأسمال بتواضع الكبار كي يفرح بلباس أولاده في العيد.

وإذا نجح أحدنا في امتحانٍ تراه لا يعطي فرحته لأحد، تتراقص جوارحه فرحاً وطرباً، ليرى نجاحه فينا، ويستعيد شبابه الفاني بنا.

ومع زقزقة أوّل عصفورٍ في كلّ صباح أرتشف قهوتي وإيّاه، أجاذبه أطراف الكلام.. أشعر بطعم الفرح وأنا أراه يجاهد المرض وحمل السنين كي يستقبل يومه بحيويةٍ ونشاط.

ذات صباح استيقظ أبي وراح يمارس طقوس حياته.. يرقب إبريق الشاي وينفث دخان سيجارته مصغياً باهتمامٍ بالغٍ إلى نشرة الأخبار.

يتابع تحليلات الصحف حول الغارة الإسرائيلية، يرفع كفيه إلى القوي العزيز يدعو أن يحفظ له عائلته، ويحمي أبناءه، وينتقم من الطغاة.

كان أبي يأمل بالخلاص من الطاغية المجرم الذي حرمه رؤية فلذات كبده، يكابر على جراحه، ويحلم بضمهم إلى صدره واللعب مع أحفاده، يمنّي نفسه بحياة رغيدة بين أبنائه، ويحلم أن يمتلئ بيته بأحفاده.

تساءل أبي مستنكراً: هل سيردّ النظام على الغارة الإسرائيلية؟ وكيف سيكون الرد؟

لم يتأخر الرد.. فما هي إلا ساعات قليلة كانت حمم الغدر والحقد تنذر أبي برد الطاغية. تأكد أبي أن النظام سيثأر لكرامته، ولكنه لم يدرِ أن النظام ردّ عليه هو لا على إسرائيل.

مات أبي...

تناثرت أشلاء الضحايا من حوله، وأيقن هنا أن ردّ النظام على إسرائيل سيكون قاسياً.

تفجّر رأس أبي وهو يستقل حافلة الموت عائداً إلى بيته، بعد رحلةٍ قاسية ليؤمّن قوت أهل بيته، رأيت أبي مضرّجاً بدمه، بينما كنت أرقب الردّ البربري من طائرات الحقد على بلدي. أبت السماء ألا يبقى أبي بين هؤلاء الوحوش، فاصطفته واختارت له مرافقة أطفال بانياس المذبوحين.

صعدت روحه ترفرف فوق سماء بلدي، فرحةً برحلة الشهادة إلى بارئها.. حملت روحه أطفال "البيضا" إلى الملك الجبار ليكونوا شهداء على مذابح الهمجية والبربرية الأسدية.

كنت أفخر بأبي دوماً، وأفاخر بأني سليل ذاك المواطن السوري الفقير البسيط، وكذلك أبي كان يفخر بما بناه فينا.

اليوم أفخر بك يا أبي.. وتفخر بك عائلتك ومدينتك.. حياتك كانت سجلاً حافلاً بالتضحيات.. باستشهادك أتشرف ويتشرف أهلك وجيرانك وأحباؤك.

"فتحنا لتموز أبوابنا.. ففي الصيف لابدّ أن يأتي أبي".

مرثية للدكتاتور

سمير الفيل - مصر

في الغالب تبدأ المسألة بضربة حظ، وربما بسعي سفلي حثيث للجلوس على المقعد الوثير. تكون النبرة أول الأمر هادئة، شاكية، باكية، فالشخص يتلجلج في الكلام، ويبحث عن حديث مناسب يبهر به السامعين. ولكي يملأ مركزه فغالباً ما يستعين بذوي الخبرة من سلاطين الكلام، فيجالسونه، ويهندمونه، ويمضون معه وقتاً ساراً. سيهش في وجوههم ويبش، فالنعمة قريبة، وهو يخاف زوالها.

يدربونه على النطق بلسان قويم، في جلسات لا تخلو من مرح ومباسطة. قد يغمر الجلسة دخان شيشة ملوكي حيث تنعقد حلقات الدخان في فواصل الدرس، خاصة إذا ما عرف بالغباء، فلديه من السلطة والنفوذ من يأتي له بجهابذة القانون وترزية اللوائح، ولكي تستكمل الوجاهة فلا بأس من ممثل مأفون كالبهلوان، أو صحافي شهير أو فيلسوف جهير الصوت، يلف له المعلومات الصعبة في لفافات على قده حتى لا يختنق بها.

هو الآن يطالع الجماهير بوجه يفيض بشراً، يعاهدهم أنه لن يقضي في منصبه سوى مدة واحدة، بعدها يعود لصفوف الجماهير. ولو تتبعت نبرة الصوت لوجدت ذبذبات نصف صادقة، وترديدات ربع شفافة؛ فهو غير مصدق أن الكرسي وصل إليه، وسرعان ما يجد الفرصة كي يطرد من رأوه صغيراً، أو من كانوا يركنونه بالساعات على أبواب مكاتبهم. قبل وصوله. حتى ينتهوا مما هم فيه من مهام.

الآن صحصح الحق، وصار هو السيد الجنرال الذي ملك كل شيء

الآن صحصح الحق، وصار هو السيد الجنرال الذي ملك كل شيء حوله. سيخرج ليبتهج بمناظر الطبيعة حوله فهو في الغالب جاء من قرية منسية لا يذكرها أحد: من نجع أو كفر أو عزبة ملقاة في العراء تحت طبقات من الإهمال. لن يكون مناسباً إن ذكّره أحد خلصائه بجذوره الريفية الفقيرة، لكنه فيما بعد قد يجد في نفسه الجرأة ليعلن صراحة أنه شرب من ماء الترعة المتعكر، وسهر تحت التوت، وتسلق شجرة بمبوزا؛ فهو فلاح ابن فلاح حتى لو كان أبوه باشكاتباً قَدّ الدنيا أو طباخاً لدى حضرة العمدة، أو موظفاً درجة سابعة مستوراً.

لا يركن أعضاء الحاشية للمصادفة، إنهم يوجهون سهامهم منذ أول مقابلة للإشادة بكل حركة وسكنة فعلها، بقلوب مفعمة بالصدق الجارح الملموس، يبدون خوفهم من نوبة برد أصابت صدر الزعيم، أو بعطسته المباركة التي تناثرت رذاذاً في وجوههم فزادتها ألقاً. إنه يلتمس خطواته بخجل فيكون من الملائم أن يبالغوا في الانحناء حتى تلامس جباههم حصى الأرض، ومنهم من يخفي بعض كبرياء لتستغل تلك الحركة في مرات قادمة، لكنها كبرياء التابع الذليل الذي تتندى عيناه بدموع الفرح كون الزعيم قد انفكت حسرته وبعد أيام من الإمساك الشديد جاءه الإسهال المفيد. كل ما يمكن قوله سيقال حيث أن شفاء الزعيم هو البوابة الملكية لصحة الوطن.

من هنا يبدأ الإمساك بالمفاتيح التي تفتح أصعب الأقفال، فيزين "س" من الحاشية للزوجة ما يجعلها تعتقد كونها مبعوثة العناية الإلهية لرفعة الناس. كم من ناصح يمكنه أن يسدي لها نصيحة كي تخيط ثيابها في باريس درءاً للعيون البصاصة التي تندب فيها رصاصة. أما الابن البكري فيعد منذ اللحظة الأولى ليحتل عرش والده مهما كانت تقاليد الجمهورية راسخة، لأن العين لا تعلو على الحاجب، ولأن لله في خلقه شؤوناً، فهذا الشبل من ذاك الأسد، وكم سيصبح تقليداً بديعاً أن يعامل الشبل منذ صغره بهذه الصفة، فيدرب على دخول العرين والخروج منه بلا نحنحات. في عيد ميلاده سيسعى أفراد الحاشية لإطفاء الشموع ولهف قطع الجاتوه وتقديم الهدايا الثمينة من ساعات مطعمة بالماس، وصكوك بنوك، وسيارات فارهة، فكل شيء أخذ وعطاء.

بعد سنوات تبدأ الفترة الأولى في الانقضاء فيسحّ التابعون دموع الإشفاق على الزعيم الذي يتحمل كل هذا الشقاء، ويبدأ أفراد الحاشية في تجهيز زفات إعلامية وتوزيع صور ملونة يجللها الوقار والنظرة الواثقة الجبارة في كافة الدواوين الحكومية لتعلق على الجدران، ويُكلَّف مؤرخو المرحلة بتدبيج دراسات عن نبوغ الزعيم في مراحل مفصلية من مسيرة الوطن، وثوباً لفترة ثانية فثالثة فرابعة. يتم التركيز على ارتباط صورته بالعلم والسلام الجمهوري، ولا مانع مطلقاً من إعداد زيارات مفبركة للزعيم وهو يتكرم بالتنازل والجلوس مع أسرة فقيرة فيأكل معهم الفول والفلافل، ويرتشف كوب الشاي، ويسأل ببراءة ويده تربت على كتف سعيد الحظ: مبسوط يا.. عوضين. ويفشخ عوضين ضبه فهو مبسوط بالمائة جنيه التي وضعها كبير الياوران في جيبه المثقوب بعد أن أخفى المائة الأخرى في جيب جاكتته.

من منتصف الفترة الثانية يجهز الدكتاتور تجهيزاً كلياً فتوشي بدله بخيوط ذهبية تحمل اسمه، ويكتشف أنه يقترب من الستين وهنا

يميل وزير مخلص ليعرفه أصول البيزنس: حتتين أرض، عمولة صفقة سلاح، حساب سري في عدة عواصم. كل شيء في السر، لأن لا أحد يضمن الدنيا وتقلباتها الماكرة. وسبحان مقلب القلوب يا زعيم. يغتاظ الدكتاتور بمن يذكره بفقره ويلوح له بفاقته. دون قصد. فيحلو له مصاحبة الكبار من رجال المال، فهداياهم أقيم، هم يريدون التمسح في السلطان وهو يرغب في مزيد من المال. وهي وصفة مؤكدة النجاح ومجربة، لا يمكنك مصاحبة الرعاع فوجوههم مكشوفة وفي عيونهم حسد مميت.

يتم الدعاء للدكتاتور في المجالس والمنابر والتجمعات، ولا تصدر صحيفة إلا وتراه في صدرها دائم الابتسام. كأنه لا يسعل ولا يصاب بالحصبة ولا ينتابه مغص ولا تدوخ رأسه. هذا ليس بمستغرب فالدكتاتور خلفه طاقم طبي يستدعى في كل يوم لقياس الضغط والسكر والتخلص من الريح الخبيثة والفتق. كان ابن عمي نصحي يستغرب أنه لم يصادف زعيماً قطع جلساته المطولة ليذهب لدورة المياه أو الحمام، وهو في استغرابه شبه مجنون فكل شيء يتم بحساب حتى يخيل إليك أن الزعماء لا يخرجون ريحاً ولا يتجشأون ولا يهرشون أقفيتهم قط.

للدكتاتور مشية الأوزة، ومن خلفه شخص شديد التأنق يحمل له أوراقه ويمد يده ليسلمه نظارته، وهو من خلفه يشد له الكرسي لتكون جلسته مضبوطة، وينحني دائماً ولا يعطيه ظهره مطلقاً. لا يحتمل الدكتاتور أن يرى المؤخرات، لا للرجال ولا للنساء، فهو "دوغري" وإلا سقطت هيبته. ولا صحة لما يطلقه المرجفون من قصص حب مختلقة للدكتاتور أو حتى استلطاف لأساب عديدة من أهمها أن الزعيم الذي صار دكتاتوراً لا يحمل قلب رقيق يمتثل للحوادث بل أن قلبه كجلمود صخر، ولو أنه سرح للحظة في التسبيح بجمال ممثلة حسناء أو راقصة رشيقة لفضحته العدسات التي لا تستر على أحد. وهذا من خطايا علم البصريات، لذا فهو أقرب ما يكون للتمثال الذي قد من جرانيت. وللدكتاتور سمات وأوصاف يعرفها كل متابع دؤوب، فهو حين يدخل قاعة يسبقه المديرون فالوزراء فالكبراء يهرولون كأن مصيبة توشك على الوقوع، ثم يجلسون صامتين، كأن على رؤوسهم الطير. ينطق الحاجب: السيد رئيس الجمهورية. فإذا بالموسيقى تصدح وبالأكف تلتهب بالتصفيق، وإذا بالأبواب تغلق ويقف أمامها رجال شداد غلاظ، تكشيرتهم تقطع الخميرة من البيت. عندها تنطلق القنوات التلفزيونية لنقل الدكتاتور في لقطات محسوبة، لا ترى احدوداب ظهره، ولا تشقق شفتيه، ولا ارتجاف يديه، ولا نظراته الزائغة المثقلة بالسنين.

للدكتاتور مشية الأوزة، ومن خلفه شخص شديد التأنق يحمل له أوراقه ويمد يده ليسلمه نظارته

لا هتلر ولا موسوليني ولا صاحبنا إياه ستجد شيئاً من ذلك في طلته الواثقة، هو دائم الابتسام، لا يغزو الشيب مفرقيه، ولا تغيب الأناقة عن ثيابه، من يعرف كيف يرتدي الدكتاتور ثيابه دون أن يفعل مثلي فينسى زراراً وعروة؟!

مصور واحد سيعهد له بمهمة جعله مواطناً بسيطاً، ولفرط الاصطناع في اللقطات فستبدو المشاهد كأنها لنصف إله تنازل من أجل خاطرك وخاطر كل فقير محروم بركوب البسكليتة، والتنزه مع حفيده، ومطالعة الكتب الضخمة في حديقة القصر. لا تذهب في الفكر بعيداً فتندهش أن الدكتاتور رغم كثرة مشاغله يقرأ كل ما في مكتبته من موسوعات ومراجع. إنها أشياء للزينة يا أيها الظريف اللطيف.

مهما بلغ الدكتاتور من قوة شكيمة وقدرة على الانضباط فهناك نقاط ضعف لا يعرفها سوى زوجته، بحكم مشاركته السرير ليلاً. لقد كتب عليها أن تكون زوجة الدكتاتور وطالما هي لم تسع لذلك وجاءتها المسألة "زبدية على فطيرة" فسيكون جنوناً منها أن تضيع الفرصة، ولا تتفسح في بلاد الدنيا تحت غطاء زيارات سياسية ومهام دبلوماسية. ستعصر على نفسها ليمونة وترافق الزعيم أينما حل: في باريس ولندن وجنيف ونيويورك وطوكيو وبكين، ستأخذ معها صويحباتها لكي تشتري فراء قطبي أو عطر فرنسي أو أحذية تبين مونكير القدمين. الزوجات مظلومات فالزيارة الواحدة تقسم الظهر، خاصة مع ازدياد أسعار البنزين، وهو ما لا يفطن إليه ابن خالتي منير، فقلبه الرقيق يجعله لا ينام الليل خوفاً من أن تكون زوجة الدكتاتور قد تدبست بدفع تذاكر السفر من ميزانيتها الشخصية.

لا صحة مطلقاً لمن يزعم أن الدكتاتور في أي بلد كان يكنز المال، أو يهرب الماس، أو يسرب البلاتين. هذا قول مردود عليه فمرتبه يكفي بالكاد كي يصرف على أسرته، ولهذا قد يقترض مبلغاً ما من الخزينة العامة وينسى سداده، وغالباً ما يكون المبلغ المقترض بالمليارات.

نحن نعرف أن كل دولة لها مجال في الريادة، فروسيا ريادتها في الفضاء، وأمريكا في أقمار التجسس، وفرنسا في صناعة الأفلام، وبريطانيا عميدة المستعمرات، مصر ريادتها معروفة في التلفزيون. لهذا يمكن لك أن تعيش يومك كله أمام التلفزيون تشاهد المسلسلات وتأكل الفيشار ثم تخطف ركعات صلواتك الخمس لتضمن الدنيا والآخرة. الدكتاتور عرف أن دولته هي قائدة إعلامية فجعل وزيره يخوض معاركه بالسيوف الباترة يحملها رجال يركبون الجمال والبغال. من الضروري أن يكون النزال بطريقة تجمع بين التراث والمعاصرة، لذا سيمتن الدكتاتور كثيراً للرجل الذي سلمه مفتاح ماسبيرو، وجعل النيل وحده شاهداً على الخارجين المارقين. بالأغنيات ستزول الغمة، وتسود النعمة.

الكلام كثير عن الدكتاتور، ولا يمكن استقصاء كل الأخبار حوله، لكن قد يكون من الضروري أن نختتم بسط الحديث بما يشعر به إذا تزلزل ملكه وحان ميقات خلعه. من فرط ثقته بنفسه وإغواء الشياطين له أنه باق حتى نهاية عمره يقع في المحظور، حيث تبدو ردود أفعاله بطيئة، وتفكيره حجري، ففي لحظات تدعو للسرعة والحسم تخاله راكباً حماره متخطياً القنايات ذاهباً للغيط. إنه فقد الإحساس بالصيرورة. تلك هي مذلة الشيخوخة، وما نقصده شيخوخة الفكر لا السن، فكلما اشتدت صرخات الجماهير طالبة منه الرحيل كلما استمسك بالكرسي، بلا لحظة تفكير في البدائل، فمخه قد توقف عند لحظة خلود باهتة لا يمكن حدوثها، أنه باق لأبد الأبدين. هو يرغب في ألا يترك هذا العز وأكل الوز، لغيره، هو متمسك بمقولة العامة "جحا أولى بلحم طوره"، لذا يعمل الدكتاتور على أن يتنازل للابن الغالي، فيستمر حكمه من وراء ستار، أو يظل متمرغاً في بحبوحة الزعامة حتى يأتي عزرائيل.

الثورات بها عيب خطير لم ينتبه إليه الدكتاتور، هي أنها تأتي كالصاعقة بلا سابق إنذار فتكشف كل عيوب الدكتاتور. تعريه في زمن ظن فيه أنه قد بلغ ذروة الاكتمال. تلك خطيئة الثورة التي لا تراعي في هبوبها الظروف القهرية ومراتب الناس وسلطة التلفزيون، وتدابير وزراء الإعلام ممن اتجهوا لسك النقود الذهبية بالصور الفيكتورية السوزانية، لذلك ينتهك طلائعهم الأعراف، ويتجاوزون الخطوط الحمراء. مثل هذا الكشف يصنع فنون التراجيديا، لولا وجود الدكتاتور لما بزغ نجم ساحر المسرح وليم شكسبير، ولا مرت سلاسل الذهب في روايات نيقوس كازنتزاكي.

آن للدكتاتور أن يستريح كي تكمل الثورة عملها في هدوء، وبلا ريبة أو ثرثرات. ودعونا نشم هواء الحرية التي منعها الرجل عن أجيال كثيرة ساء حظها برؤيته اليومية الإجبارية عبر نشرات الأخبار.

المنـــازل والحنافيـــش!!

إبراهيم العلوش

تقف المنازل تحت الطائرات منتظرة.. تصمت الشوارع وتصمت الأرصفة.. ويقطع الأطفال أنفاسهم ريثما ينطلق الانفجار الهائل المنتظر.. الطائرات تروح وتجيء، وتفتح جدار الصوت فوقنا.. يشعر الطيارون بالنشوة البطولية إذ يستطيعون التحليق فوق هذه البيوت وهذه الشوارع وهذه الأحياء بلا خوف.. يبتسمون لأنفسهم وهم يناورون فوقنا ونحن نقطع أنفاسنا، ريثما تأتي الرجفة الكبرى للأشياء وللمباني.. نفكر قليلاً هل مَن يناور فوقنا من أبناء هذه البلاد، وهل يجري في عروقه شيءٌ من مائها أو من ضوئها.. نتذكر حكاياتنا الخرافية التي تصور رجالاً أنيقين مهذبين بارّين بأهلهم ولا تنقصهم ملامح الجمال والذوق.. يعيشون مع أطفالهم ومع نسائهم بهناء ونعمة.. لكنْ لا أحد من حولهم يدرك الحياة الأخرى التي يعيشونها.. فبينما يصطحب أحدهم ابن الجيران أو ابنة الجيران إلى الحقل المجاور وفي لفتة مفاجئة يرفع الغطاء المصطنع عن وجهه ويظهر حنفيشاً خرافياً.. حنفيشاً ظامئاً لمص الدماء وجائعاً لأكل لحم ضحيته.. تتكتف الضحية برعبها المفاجئ.. ويغمى عليها وهي تحاول التأكد مما هو أمامها.. تغيب عن الوعي وتغيب عن الوجود بعد أن يلتهما الحنفيش الذي لم يكن يبدو أبداً بأنه حنفيش..

وهكذا يعاود الحنفيش تمثيل حياته الأنيقة ريثما يتمكن من مفاجأة الضحية القادمة...

فجأة ينبقر الجو بصيحة هائلة ويهتز الوجود من أعماقه وتتحطم المنازل على من تبقى فيها.. الحنافيش الطائرة كشّرت عن وحشيتها.. ويبدأ القصف من جديد.. على البيوت وعلى الشوارع وعلى الماضي الذي كان يرعاه الحنافيش بعناية فائقة ويحرسون فيه مظاهرهم الأنيقة.. تبدو الطائرات مثل كائنات خرافية قادمة من كواكب وعوالم أخرى.. ونبدو في لحظة تحوّلنا من الحياة إلى الموت مثل أطفالِ الخرافات المغدورين.. تتحطم بيوتنا وتتحطم أشياؤنا.. وتتحطم قناعاتنا بمسلمات الوجود كمدخل للتعايش مع هذا العدم اللامحدود الذي يتدفق علينا من كل حدب ومن كل صوب..

يرجع الطيارون إلى بيوتهم وقد أسدلوا على وجوههم قناع الإنسانية الأنيق.. يقبلون نساءهم ويلاعبون أطفالهم..

ونحن نزيح عنا الغبار وغشاوة البصر التي كانت تعمينا طوال وجودنا..

نتفقد الأولاد ونحاول إقناع من تبقى منهم أن الحياة سترجع إلى طبيعتها.. وأن الأراجيح ستهتز قريباً بأغانيهم.. نحاول أن نبعد الوجود عن عبثه، نحاول أن نعيد أنفسنا المهتزة إلى ذاتها التي كانت مستقرة وترى الأشياء كما خُلقت رغم خداع الحنافيش التي كانت تمثل دور البشر ببراعة خادعة..

أحمل مفاتيح المنازل التي هاجر أهلها لأتفقدها..

أتفقد الزجاج المتكسر وأتفقد الأبواب التي غادرت أماكنها حزناً على أهلها المشردين في أرجاء الدنيا.. أتفقد الأدوات المتطايرة هنا وهناك وأتفقد الستائر التي أحرقت نفسها حزناً على ابنة الجيران التي تشردت مع أهلها.. على الحواجز التي تنشب أنيابها على الطرقات والدروب وحتى على الهواء.. أتفقد ذكريات الناس التي تركوها على الكراسي وعلى الأرائك وعلى حواف فناجين القهوة وكاسات الشاي.. أتفقد غرف النوم الخاوية إلا من الغبار ومن انكسار الأشياء التي كانت تزينها.. تمنعني إحدى الغرف من دخولها فهي لا تريد أن ترى إلا سكانها الذين هاجروا.. لا تريد أن تسلّم نفسها لمجهول لا يعرف أرشيف اللحظات الجميلة ولا كومة الضحكات ولا سيل البكاء الصامت الذي كان ساكنوها يخبّئونه عن العالم تحت أغطيتهم.. أرجع في الممر الطويل الممتلئ بالحطام.. أرجع مثل عاشق خذله الموعد الجميل.. أو مثل أب سمع بكاء ابنه الصغير في الفراش ولم يرد أن يسأله عن السبب.. تركه لحزنه الشفيف.. تركه ريثما يعاود الفرح.. تركه ريثما يعاود الضحك والركض فوق الأغطية.. تركه ريثما يأتي الصباح القادم حتما بلا حنافيش السماء المرعبة!!

* * *

أخرج إلى الشوارع.. أطوف في صخبها وفي تداخل الأصوات التي تنادي وتشرح وتحلل آثار الدمار.. وكيفية القصف وماذا كان المتحدث يفعل قبل أن يهزه الانفجار.. أمرّ بالبيوت التي أعرفها وليس عندي مفاتيحها.. أتفقدها بعيني من بعيد بحنان و حب.. أتفقد نوافذها وأتفقد شرفاتها التي طالما شربنا القهوة فيها، وطالما تناقشنا وتحدثنا عن الحياة وعن الفلسفة وعن التاريخ الضارب خيوطه المتشعبة فينا.. وآخر الليل طالما تحدثنا عن الحب وعن المواعيد التي نتخيلها من حبيبات كن مدللات في قلوبنا وأصبحن اليوم شاردات في المدن البعيدة وعلى الحواجز الوحشية.. وأكاد أن أسمع الطفل وهو يرجو الحنافيش على الحاجز أن يقتلوه مع أهله بالمسدسات والبواريد الروسية بدلاً من السواطير.. لأنه لا يحب منظر الدم.. رغم أن الدم يشبه الكتشب الذي كان يحبه:

– عمو مشان الله بالمسدس.. مو بالساطور!!!

لا "يفسد" العطار ما "أصلح" الدهر

قصي الهويدي

كان النصف الثاني من عقد الثمانينيات، بكل ما مثّله من قهر أمني – (والذي هو النتيجة الطبيعية لانتصار "الأسد الأب"، الساحق على المعارضة السورية آنذاك، في النصف الأول من ذلك العقد من القرن الماضي) – هو الزمن الذي بدأ فيه نضج وعينا السياسي، نحن الذين ولدنا في نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من ذلك القرن، حيث دخلت البلاد في حالة من "الموات السياسي" التام، قلَّ نظيرها في أية فترة من فترات تاريخ سورية، الأمر الذي أدَّى إلى عزوف شبه كامل، من ذلك الجيل والأجيال التي تلته، عن السياسة، وانكفاء الأجيال التي سبقته عنها. عدد قليل من السوريين هم الذين انخرطوا، بشكل أو بآخر، في العمل السياسي، دون أن يمنعهم الخوف من إرهاب الدولة الممنهج، من المجازفة، وكانت نتائج ذلك الانخراط وتلك المجازفات، الفشل الذريع الذي جنيناه جميعاً... كنّا يائسين تماماً.

تفاعلنا – مثل كثير من السوريين – وأُحبطنا، مراراً، طوال مسيرة "الثورة السورية"، وربما كانت مشاعرنا في بعض الأحيان تصل إلى مرحلة التطرف.

بعد "تحرير الرقة" زادت حدة انفعالاتنا، وكبُر المجال الذي تتحرك بين حديه، فالنتائج التي آلت إليها الأمور، كانت في بعض الأحيان مأساوية، وفي بعضها الآخر أخذت شكل الكارثة. ولكن.. وبعيداً عن الانفعالات، وبعيداً عن الخطاب العاطفي، هناك شيءٌ ما قد حدث، غيّر وسيغيّر مجرى (تاريخ الدولة) وشكلها المألوف في أذهاننا/ تراثنا، مرةً والى الأبد.

كانت (دولة الغلبة) هي الشكل الوحيد الذي كنّا وما نزال نعيد إنتاجه، طوال قرون من تاريخنا، تلك الدولة التي طالما مارست كل أشكال القهر والإقصاء، وذلك بحكم خصائص "بنيتها" الراسخة في أصل المكوِّنات – (الزمر) – المشكِّلة لنسيجها الاجتماعي، حيث تتأسس السلطة فيها ارتكازاً على المبدأ الذي أرساه الماوردي في كتابه (فقه السياسة): "من غلبت شوكته، وجبت طاعته"، وغنيٌّ عن البيان أنّ ترك "الواجب" يوجب القتل. أي أنّ غلبة الشوكة تُخضِع "الرعايا" قسراً، ومن يشق عصا الطاعة...، يدخل – أو يُدخِل نفسه – في حكم الخارج على الجماعة، والذي كما أسلفنا يُقتَل شرعاً. وأيّاً كان التغيير الذي طرأ على (شكل) المقولات التأسيسية تلك، فإن (مضمونها) مايزال مستمراً، فالسلطة المطلقة مُحتكَرة في يد رأس الهرم – سواء أكان فرداً أم زمرة – أما قاعدة الهرم فهي مجرد رعايا/ قطيع، عليهم فقط السمع والطاعة.

إن (الزمر) التي شكلت وتشكل "البنى المجتمعية" لدينا، ما تزال محتفظة بتلك الخصائص، إذ تمارس الزمرة الغالبة، الاستبداد والقهر لإخضاع الزمر/ الرعايا، والحصول على طاعتها، والتي بدورها (أي زمر الرعايا) ليس أمامها من وسيلة إلا تقوية شوكتها، و"الانقلاب" على دولة الغلبة تلك، وانتاج "غلبة بديلة"، وهكذا عبر التاريخ. من نافل القول التذكير بأن هذه الخصائص لا علاقة لها بالأصل العرقي أو الديني أو المذهبي للزمرة.

ملاحظتان مهمتان – من خلال هذا الاستعراض السريع الذي قمنا به – تجدر الإشارة إليهما:

أولاً: إن القضاء على الدولة/ الزمرة الغالبة، غير ممكن إلا في حال ضعفها وتفككها، أو من خلال "الاستقواء" عليها لإعادة إنتاج دولة غلبة جديدة، بديلة. وهنا (أي في حالة الاستقواء) يكون الرد الخطابي المتوقع من قِبَل تلك الدولة، هو اتهام خصومها بـ"المؤامرة"، والتي هي الآلية الوحيدة المتاحة في صراع الغلبة ذاك.

ثانياً: إن الغائب الوحيد من المعادلة السياسية، عبر تاريخ الدولة الطويل في موروثنا، هو ما يمكن أن ندعوه "الشارع السياسي" بمعناه العام المفتوح، الذي لا يكون مطبوعاً بلون زمرة محددة، أو يأخذ طابعاً فئوياً أو عقائدياً واحداً، وأن هذا الشارع الذي همَّش تاريخياً، هو ما أدخلته "الثورة السورية" إلى تلك المعادلة ولأول مرة في تاريخ الصراع السياسي. (تجدر الإشارة إلى أن هذا الكلام ينسحب على المنطقة كاملة، وليس فقط على سورية، كما ينسحب على كل ثورات ما يدعى بـ"الربيع العربي").

يشكل دخول هذا المعطى "الجديد" في المعادلة السياسية، أهم إنجاز للثورات الراهنة، إذ علاوةً على أنها المرة الأولى التي يسجَّل فيها هذا الدخول، فإنه يشكل (أي الشارع السياسي العام) العامل والمحدِّد الرئيس الذي لا يمكن إهماله أو تهميشه، كما حدث طوال قرون مضت، فهذا الشكل التطوري للمجتمعات غير عكوس، وبالتالي فهذا مكتسب لا يمكن الرجوع عنه حتى وان كرهنا، الأمر الذي يؤدي في المآل الأخير إلى أنّ صراعات (الغلبة) – وان طالت – قد دخل معها هذا المعطى الجديد، والذي سيأخذ مكانه الطبيعي في معادلة السياسة/ الدولة كقطب أساس، عاجلاً أم آجلاً ، حيث أنه المرتكز الرئيس للدولة الحديثة أيّاً كان شكلها. نقول: إن هذا التغيُّر حدث مرةً والى الأبد.

لا علاقة للتفاؤل أو التشاؤم فيما نقول، فهذا منطق التطور الطبيعي للمجتمعات البشرية، وهذا التطور وإن تأخرت بدايته قليلاً أو كثيراً، فإنه لا بد حادث – وقد حدث – الأمر الذي لا يمكن إغفاله أو التقليل من شأنه، فهذه هي البداية وحسب، يعقبها خطوات قد تستغرق سنينَ أو ربما عقوداً، لإنجاز الشكل الأنسب للدولة البديلة، وغالباً ما يترافق هذا التحوّل مع مخاضات عسيرة، إذ سينتج عنه تفكك وتفكيك للبنى المجتمعية السائدة بكل خصائصها الاستبدادية والقهرية والإقصائية وغيرها، وبكل آلياتها في "تداول" السلطة/ الدولة، والقائمة على القهر من جهة الغالب وعلى "الاستقواء" من المغلوب، وإنجاز بُنىً مجتمعية "تطورية حقيقية" بديلة بخصائص وآليات جديدة، أكثر ملاءمة للمتغيرات وأكثر استجابة للمتطلبات، آخذين في الحسبان أن الشعوب التي أنجزت تطورها، وبغض النظر عن مدى هذا التطور، كانت قد استغرقت عدة قرون تخللتها حروب دينية وطائفية وعرقية طاحنة.

إنّ هذا قد بدأ للتو وإن أحداً لن يستطيع منعه أو إيقافه، ولا حتى إفساده

اليقين والشك في الثورة السورية

علي العائد

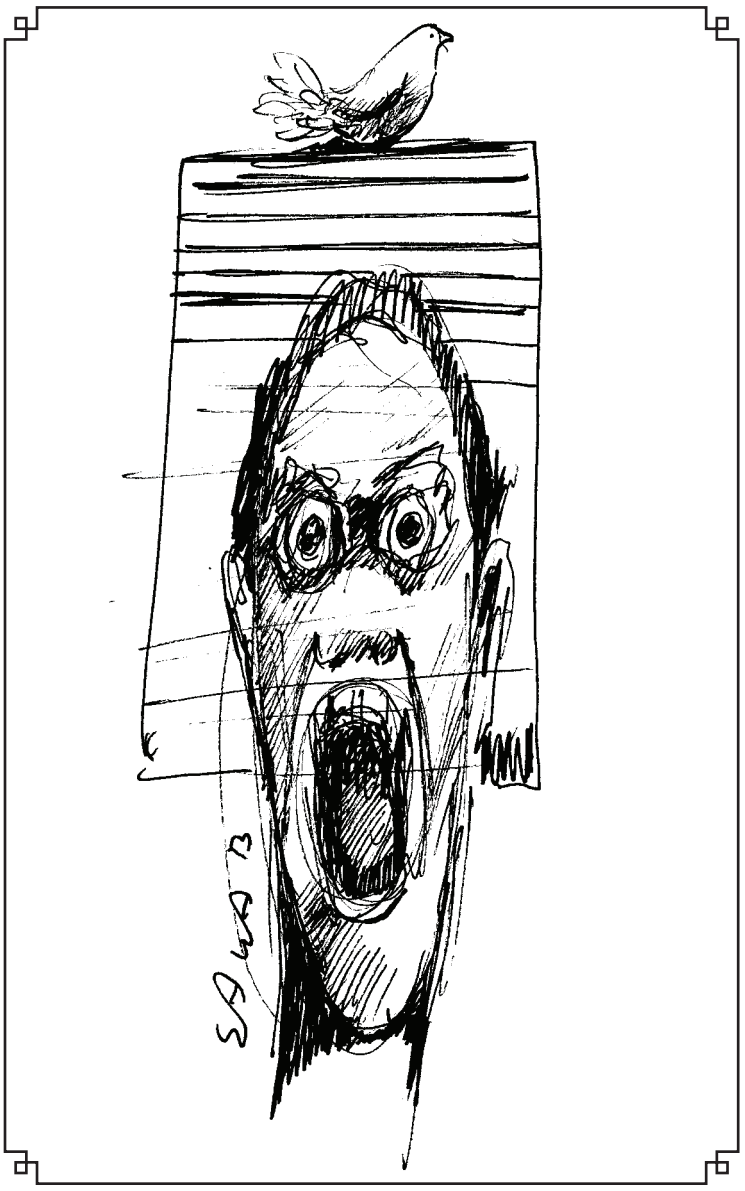

مكمن معضلة الثورة السورية حتى الآن هو في افتقاد "داهية أو عبقري" يمتلك كاريزما تقود الثورة، وهذا ما لم يتنبه إليه إلا قليل ممن انتقدوا الجسم السياسي للثورة الممثل في المجلس الوطني السوري، ومن ثم بالائتلاف الوطني السوري.

فما ضاع على الثورة ليس فقط أنها تأخرت في الانطلاق، بل لأنها تأخرت في إدراك يتمها مجبرة تحت ضغط هول وحشية النظام، وظلت تأمل فيما يسمَّى المجتمعان العربي والدولي؛ وما تضيّعه الثورة الآن من وقت أنها لا تزال تتلهى بالخوف من شبح الطائفية والحرب الطائفية، دون أن ننكر أن ردود الفعل الانتقامية واردة، وما يمكن أن تضيعه الثورة كل يوم هو أن تأمل في وجود قادة للائتلاف الوطني السوري، والمجلس الوطني السوري، من طينة الملائكة، وهو تفكير غير واقعي في المطلق، فالملائكة لا تثور، والثائر مزيج إنسان من الطيبة والصّلف والضعف والتهور.

والأمر كذلك، ليس أمام المؤمنين بحتمية انتصار الثورة سوى أن تتحرك بما لديها من طاقات بشرية، وقادة، على عيوبهم، في هذه المرحلة، ما دُمنا لم نصل بعدُ إلى لحظةِ أن يختارَ الشعب ممثليه ديموقراطياً، فبالسلاح القليل يصمد الثوار، وبالخبز القليل يصمد الناس، وبالحد الأدنى من "سياسة" قادة معارضتنا يصمد الجسد السياسي للثورة، لابد من النقد، نعم، ولابد من الإشارة إلى الفساد، أو سوء الأداء، ولابدّ من إعلان القطيعة مع تمجيد الشخص حتى لو كان الشخص جيدَ التوجه وشبه متفق عليه.

***

لا يجدي الحديث عن تفرق المعارضة ودخول العناصر الإسلامية، السورية منها، وغير السورية أيضاً، في جلاء غموض مستقبل الثورة، والوقت لا يزال مبكراً للحديث عن مستقبل سوريا ما بعد انتصار الثورة.

ولا يجدي الحديث أيضاً عن نقاشات يفيض بها فضاء شبكات التواصل الاجتماعي، فالأمر لا يعدو كونهم يفرغون بهذا شحنات الشد العصبي المتولد عمّا تلطمنا به صور الميديا كل ساعة، لكن تلك النقاشات، ومن حيث هي تنفيس عن ذلك الضغط، يتجلّى جانبها السّلبي في " تنفيس" حالة الغضب التي يختزنها كل من يحسب نفسه على الثورة في انتظار لحظة الحقيقة، التي لن تخلو من نزوع انتقامي، وإن كان كثيرٌ منا يتمنى أن تكون صورة ذلك الانتقام إنسانيةً عبر عدالة مقننة.

يستطيع كل منا أن يضع "لا" أمام قائمة وصايا تفوق العشر، والحديث بيقينية عن "طهرانية" الثورة، مع إيضاح أنه ليست كل الشرور من الإسلامويين المستوردين، ولا حتى من المؤيدين للنظام، أو من الأغلبية الصامتة التي يدعي كل طرف أنها في صفّه، فللثورة بـ"طهرانيتها" شياطينها الصغار.

وقد يجد بعضنا ما يحبطه في "القدرية" الكامنة في حديث الثوار ومؤيديهم، فقدرية الثوار الإسلاميين البسطاء ترى في الثورة جهاداً ثوابه الجنة، وللإسلامويين فتاواهم التي جاءت بهم من دول تشاطئ سوريا أو تقع في ما وراء البحار في طريقهم إلى الجنة، والطوائف الأخرى، بما فيها "الطائفة العلمانية" يجدون في معارضتهم للثورة، أو تأييدهم لها، حالة من اليقين القلق، لكنه لا يؤدي على الأرجح لا إلى جنة الأرض ولا إلى جنة السماء، هما، أو هم، يجربون أن يسقطوا ما قالته الكتب عن ثورات سابقة، أو كتب، أو أفكار مجربة، متناسين أننا "لا نستطيع أن نسبح في النهر نفسه مرتين"، ومسألة الثورة تبقى على بساطتها الظاهرية أنها "ثورة كرامة"، وليست ثورة خبز، أو جنة، أو سياسة وديموقراطية، ولعل هذا ما يفسر التناقض الهائل بين "الأجسام" السياسية المتشرذمة للثورة، ومعه "الأجسام" العسكرية، من جهة، وبين الجسم الثوري المدني للشوارع الذي حافظ على حد أدنى من النقاء في مواجهة كل تلك الجسوم، من جهة أخرى.

***

هنالك بدهيات، وهنالك وقائع، البدهية أن الثورة السورية ستنتصر، والوقائع هي إجابة السؤال: كم من المآسي سيتجرعها السوريون قبل أن تنتصر ثورتهم؟

هذا قبل الحديث عن مستقبل الثورة ودور "المجتمع الدولي" فيه، فدور المجتمع الدولي سيأتي لاحقاً، ولا أعتقد حقاً أن له دوراً في انتصار الثورة، أو فشلها، وربما سيكون للمجتمع الدولي أثرٌ أكثرُ سلبية فيما بعد انتصار الثورة، لِمَ لا ؟، وقد نجد أن روسيا والصين تناصران الثورة المنتصرة في وجه الولايات المتحدة وأوروبا.

لكنْ، على الثورة، بكل فقرها السياسي والمادي، ألّا تفرط في أخلاقيتها، وفي اعتزازها بفقرها، وفخرها بأصدقاءَ يدعمونها دون شروط، وإذا أرادت أن تكونَ براغماتية عبر سياسييها، فلتقلْ "ربّما" عندما تريد القول نعم، أو لا.

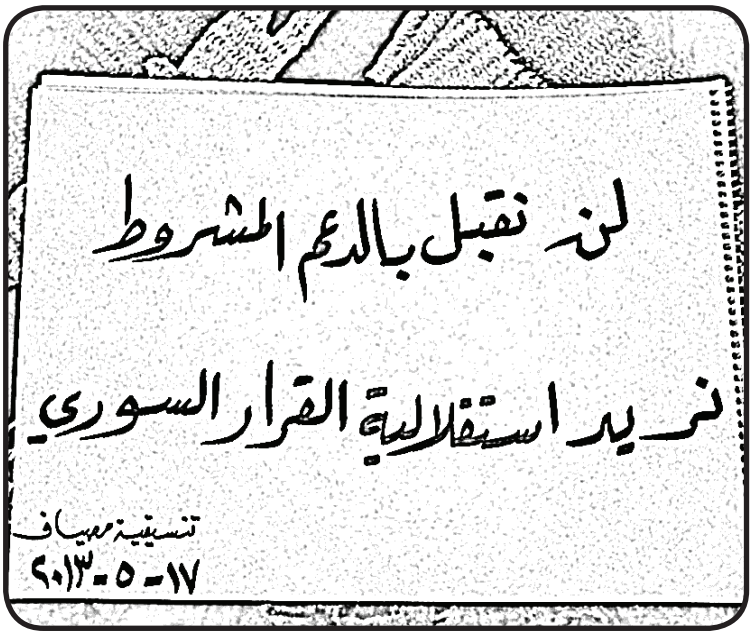

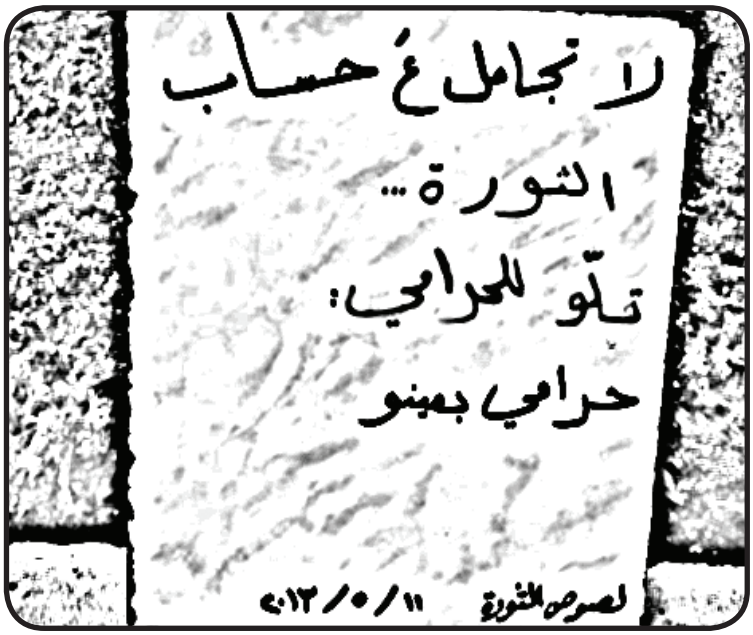

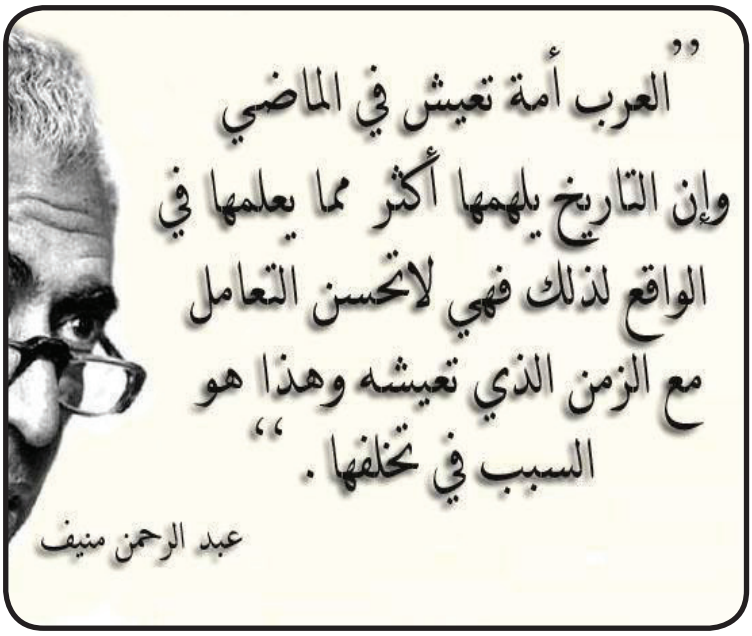

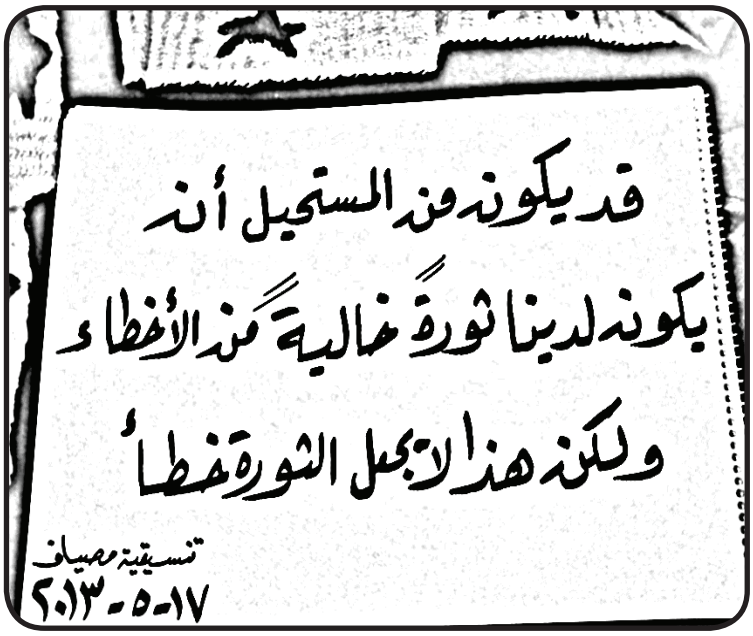

منـــــازل الفيسبـــــوك

على عموده في جريدة الحياة، نشر أدونيس أشعاراً عن المذابح والرؤوس المقطوعة والبطون المبقورة. أدهشتني حساسية الشاعر.. ولكن ما أدهشني أكثر هو قلّة إحساسه عندما علمت أن تلك الأشعار تتعلق بمذبحة الأرمن التي حدثت قبل أكثر من مائة عام، وليس عن مذبحة جارته بانياس التي حدثت قبل أقل من شهر فقط!

هل هذا صنف خاص من البشر؟!!

مصطفى الجرف

العَصبيّاتُ الحِزبيّة، والأنانياتُ والأهواءُ والمَصالحُ الشخصيّة.. أخطرُ على الثوراتِ الشعبيّةِ ممّن يُواجهونها بالحديدِ والنار!!

عصام العطار

الكل يبحث عن ثأره في سوريا ويريد أن يأخذه من الشعب السوري، من الثأر لسقوط عرش كسرى في عهد عمر بن الخطاب قبل 1400 سنة حتى الثأر الروسي من نهاية التاريخ عند فوكوياما

نور العبود

نخلة فراتية تطالها يد الغدر، حمودي السعدو، شهيد الرقة شهيد الحرية، والله إن العين لتدمع والقلب يخشع، إلى جنان الخلد يا ابن أخي، الفاتحة على روحه

حمودي- عريس الفرات

ائتلاف أبناء الرقة

ومن منكم لم يأكل من الجسد الفلسطيني.. فلينهشني!.. ومن منكم لم يأكل من الجسد اللبناني.. فليفرمني.. من منكم لم يأكل من الجسد العراقي.. فليكدشني.. من منكم لم يأكل الآن من الجسد السوري.. فليذبحني.. نحن آكلي لحم إخوتنا.. راجعوا تاريخ أنيابنا.

يحي جابر

"إذا كنا مدافعين فاشلين عن القضية، فالأجدر بنا أن نغير المدافعين لا أن نغير القضية"

غسان كنفاني

في ثمانينيات القرن الماضي أثناء ولاية محمد سلمان لمحافظة الرقة - فعلاً كان يطلق عليه اسم الوالي - تم تبليغ كل من ح .ش و ا . ع بالهاتف، أنهما أصبحا عضويَ قيادة فرع لحزب البعث . يقول ا. ب طول الطريق من تل ابيض إلى الرقة والفرحة ماهي واسعتنا. أسأل رفيقي معقول أنت عضو قيادة فرع؟ فيرد ولاَ معقول أنت عضو قيادة فرع؟ ونضحك غير مصدقين.. المجلس الوطني والائتلاف والتوسعة المنتظرة وأعضاء مؤتمر جنيف2 يتم اختيارهم وتعينهم بنفس الطريقة، لكن من هو الوالي؟

صالح الحاج صالح

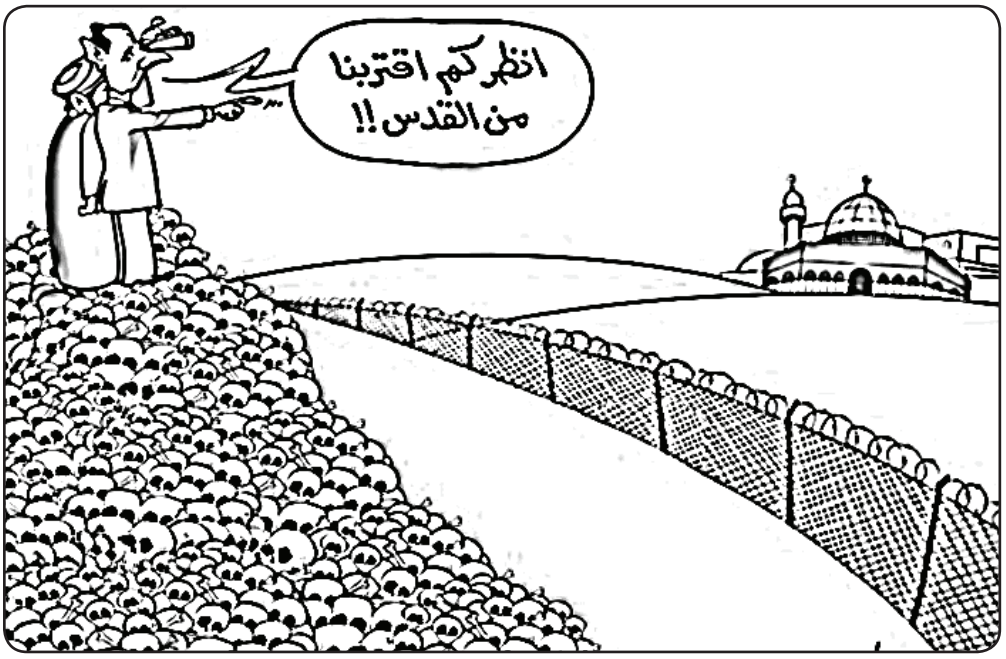

بين مجزرتين!!

ا.ع

بين مجزرتين نتفقد أنفسنا، بين مجزرتين نتفقد منازلنا، بين مجزرتين نتفقد بلادنا، بين مجزرتين نتفقد الوجود، ونتفقد حدود العدم الزاحف على عقولنا من كل الاتّجاهات!!
لم نعد نحصي أعداد الشهداء بين مجزرتين، صارت بلادنا كلها شهيدة.. لم نعد نتفقد خطواتنا ونحن نركض بين المجزرتين، فأنّى اتّجهنا فثمّةَ المجازرُ في بلادنا.. نفتح الهاتف فيردنا خبر مجزرةٍ طازجة ابتلعت أحد أحبائنا والكثير من أحباء غيرنا.. نفتحُ باب المنزل لنتلقّى خبر مجزرةٍ لنازحين غادرونا البارحة لينجوا بأنفسهم... فابتلعتهم مجزرة من المجازر الهائمة على وجوهها في الطرقاتِ العامة وفي الصحاري وفي المدن وفي القرى.. على الأرض وفي السماء.. مجازرُ تتهاطل علينا من كل حدب ومن كل صوب..
مجازر تكشف عن أقنعتها المخيفة، مجازر يهديها لنا أناسٌ ما كنا نتوقعهم بهذا الدّرك من الحقد ومن الكراهية.. مجازر لا تكتفي بالبشر بل تمتد إلى التاريخ وإلى الذكريات الجميلة .. الذكريات على طريق المجمع بالرقة في ليالي الصيف والوقوف على زاوية الأماسي الهادئة.. ذكريات مكتبة المركز الثقافي التي طوت أعمارنا شباباً ورجالاً وشيوخاً .. لقد عشنا جميعاً مع مجلداتها الغنية ومع قصص حبها التي كانت تحملنا عالياً إلى الأمل وإلى الحياة الجميلة وإلى أحلام الشباب الملونة.. مَن منا لم يستعر كتاباً من المركز الثقافي بالرقة؟ من منا لَم يحلم بالفتيات الجميلات في صفحات كتبه؟ مَن منا لم يحلم بالبطولات التي يبديها بطلُ روايةِ الفراشة وأبطال ألف ليلة وليلة ؟ شهريار وشهرزاد والسندباد والنساء الفارسات والرائعات والمثقفات وإرادة الحياة التي لا تقهر عند كونتاكنتي، وأبطال نجيب محفوظ أحمد عبد الجواد وأمينة وكمال وعائشة وكل الأحباب الذين غادرونا وهم يحترقون في حريق مكتبة المركز الثقافي بالرقة الذي هزّنا وهزّ وجداننا وهزّ ذكرياتنا وهزّ مستقبلنا ومستقبل أولادنا.. كيف سنعيش بلا كتب جميلة وبلا ذكريات جميلة وبلا أفكار متعددة ومتناقضة الى حد الحيرة؟!.. هل سنعود متشابهين كالنمل؟!!
مجازر تنتقم من سور الرقة الأثري ومن مئذنة الجامع الأموي بحلبَ ومن الجسر المعلق بدير الزور ومن الساعة الجديدة والساعة القديمة وكنيسة أم الزنار في حمص ومن و من .. مجازر تلتهم الجوامع والكنائس والقلاع والمتاحف وكل الأماكن التي ملأت حياتنا جمالاً..
كل هذه المجازر الملونة و المجازر الرمادية غير الملونة جاءت لتقتل إرادتنا.. تدفّقت لتخنق عقولنا.. لتمحوَنا ولتمحوَ تاريخنا وذاتنا وطريقة عيشنا وطريقة تفكيرنا وطريقة اختلافنا وطريقة اتّفاقنا.. جاءت لتحوّلنا إلى مجرد قطعان تأكل وتشرب وتقول : نعم، نعم للقائد.. نعم نعم لكل من يخيفنا بمجازره... ولكنْ هيهات ثم هيهات ثم هيهات أن نكون عبيداً لأحد بعد اليوم!!! هيهات ثم هيهات ثم هيهات أن نستبدل الطاغية بطاغيةٍ آخَرَ أو حتى بطغاة آخرين مهما كانت أشكالهم ومهما كانت أفكارهم ومهما كانت أسلحتهم!!!
فتحية إلى هذه الثورة السورية العظيمة التي حرّرتنا من الخوف الذي كان ينخر عظامنا وعظام أسلافنا منذ مئات السنين!!!

البريد الإلكتروني: manazel2013@gmail.com (المراسلات باسم اسرة التحرير)

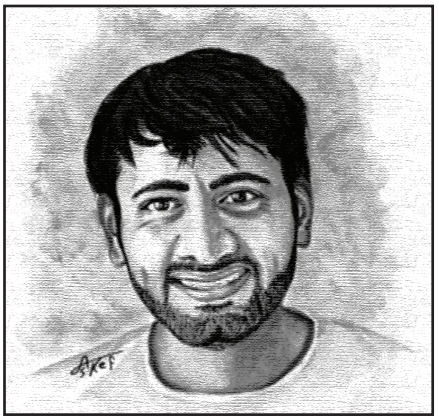

الشهيد
محمد السعدو

مثل سحابة سارحة في ربيع نضر، تهاطل غيثها، وأنعش تراب الرقة بالأحمر القاني.. مثل قديس بارك الخلق ومضى.. هكذا كانت حياة محمد السعدو.. قصيرة لكنها فاعلة، فقد كان من أوائل المنشقين، آثر أن يكون سلاحه مختلفاً، فبدلاً من البندقية تحول إلى بلسمٍ يداوي جراح المكلومين..

ولد الشهيد البطل محمد السعدو في مدينة الرقة عام 1991 تجسد وعيه مبكراً بالثورة السورية، فكان من أوائل المنشقين عن جيش النظام، التحق مسعفاً في الكتيبة الطبية في مدينة تل أبيض، وقبل شهرين من تحرير الرقة، ساهم في افتتاح المشفى الميداني في مزرعته بالقرب من حزيمة، وبعد التحرير تابع عمله في الكتيبة الطبية رغم الإغراءات المادية للعمل في المشفى الميداني الذي افتتحته منظمة أطباء بلا حدود في أقجة قلعة التركية، وفي الخامس عشر من أيار عام 2013 وقع شهيداً في مدينته الرقة ليسجل عنواناً عريضاً للتضحية وبذل الغالي والنفيس.

أسرة التحرير

ابراهيم العلوش
ماجد رشيد العويد
يوسف دعيس
التدقيق اللغوي
مصطفى الخلف
الإشراف الفني
مصطفى سليمان
ياسر أبو عمار